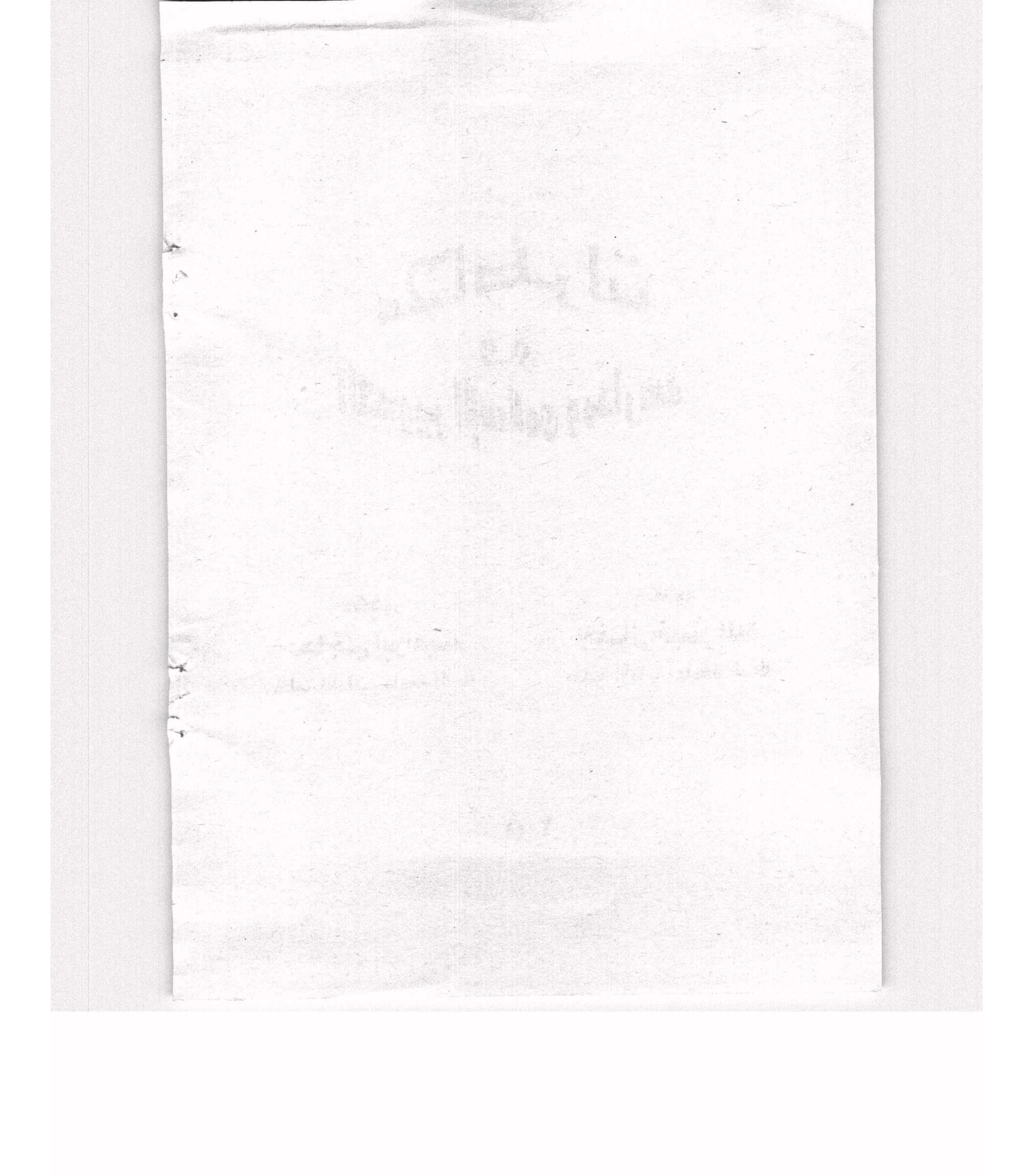
محاضرات
فى
التصوير الإسلامى ومدارسه

دكتور
حجاجى إبراهيم
كلية الآداب - جامعة طنطا

دكتور
جمال خير الله
كلية الآداب - جامعة طنطا

٢٠٠١



في

التصوير الاسلامي ومدارسه

تقوم دراسة التصوير الإسلامى بصفة أساسية على التصاوير التى تزين صفحات المخطوطات أو توضح نصوصها . ولقد وصلتنا نصوص قديمة تشير إلى عناية المسلمين بتزويق المخطوطات منذ القرون الأولى ؛ ومن أوضح هذه النصوص ما جاء فى كتاب « كليلة ودمنة » الذى ترجمه عبد الله بن المقفع فى أيام الخليفة العباسى أبى جعفر المنصور فى حوالى سنة ١٣٢هـ

ومع هذا فلم تصلنا مخطوطات كثيرة مزوقة بتصاوير ذات قيمة فنية ترجع إلى ما قبل القرن السادس الهجرى (الثانى عشر الميلادى) .

وتنقسم التصاوير فى المخطوطات الإسلامية إلى نوعين أساسيين : الأول يشمل التصاوير التى توضح نصوص الكتب العلمية ، والنوع الثانى يشمل التصاوير التى تزوق الكتب الأدبية .

وتشتمل كثير من الكتب العلمية – بحكم موضوعها – على تصاوير علمية قد لا تدع مجالاً كبيراً للإبداع الفنى ، وقد لا تحتوى على رسوم آدمية أو حيوانية مثل بعض كتب النبات والجغرافية والهندسة .

غير أن كتباً علمية أخرى تضم تصاوير يمكن أن تدخل ضمن الإطار الفنى إلى جانب أهميتها العلمية ؛ وربما يرجع ذلك إلى اشتمالها على رسوم آدمية وحيوانية . وقد عنى مؤرخو الفنون ببحثها من الوجهة الفنية البحتة : فدرسوا أساليبها ، وقسموها حسب طرزها إلى مدارس التصوير المختلفة .

وعنى المسلمون فى العصور الوسطى بتزويق الكتب العلمية التى تتعلق بالحيوان ؛ وتتكلم هذه الكتب عادة عن عادات الحيوان وسلوكه ، وعن الأدوية التى يمكن تركيبها من أعضائه . ويمكن اعتبار هذه الكتب حلقة بين كتاب أرسطو عن « التاريخ الطبيعى » وبين بواكير المؤلفات الأوروبية فى القرنين السادس عشر والسابع عشر . وقد وصلتنا مجموعة من هذه الكتب توضحها تصاوير : ومنها كتاب البيطرة المحفوظ بدار الكتب المصرية ؛ وهو مختصر رسالة لأحمد بن حسن بن الأحنف ، وقد نسخه على بن حسن بن هيبة الله فى بغداد فى آخر رمضان سنة ٦٠٥هـ (آخر مارس سنة ١٢٠٩م) . ويضم المخطوط ٣٩ تصويرة تشتمل على صور خيل وآدميين ، وتوضح أمراض الخيل وطريقة علاجها

ويعتبر كتاب منافع الحيوان لابن بختيشوع من أهم كتب الحيوان التى عنى المصورون بتزويقها فى العصور الوسطى . وقد وصلنا من هذا الكتاب بعض مخطوطات مزوقة بالتصاوير . ومن هذه المخطوطات نسخة فارسية محفوظة من مجموعة مورجان فى نيويورك تضم ٩٤ تصويرة يشير إلى مكان كتابته ؛ وتشير بعض نصوصها إلى أنها تم نسخها فى مراغة للسلطان غازان خان الذى حكم إيران من سنة ٦٩٤هـ إلى سنة ٧٠٣ هـ

وأورد هذا النص تاريخا لا يتضح فيه على المئات وهو ستمائة ، وما يدل على العشرات وهو تسعون . وبما أن السلطان المذكور لم يتول السلطنة إلا فى سنة ٦٩٤هـ فمن الواضح أن هذا المخطوط نسخ فيما بين سنتى ٦٩٤هـ و ٦٩٩هـ . وقد يكون التاريخ غير الواضح « سبعة » أو « تسعة » مما يثبت أن المخطوط نسخ فى سنة ٦٩٧هـ أو فى سنة ٦٩٩ .

وعلى الرغم من كثرة المخطوطات العلمية المزوقة بالتصاوير ، وإقبال مؤرخى الفنون على دراستها فإن تصاوير هذه الكتب يقل فيها عادة الطابع الفنى : ذلك أنها يقصد بها تفسير النصوص وشرحها وتوضيحها دون زيادة أو تزويق ، أى أنها جزء لا يتجزأ من النصوص نفسها ؛ ومن ثم كانت فى كثير من الأحيان تنقل نقلا يكاد يكون تاماً من المخطوطات الأصلية حتى أن الصور ذات الموضوع الواحد فى المخطوطات المختلفة تتشابه دون اختلاف كبير على الرغم من طول الزمن الذى يفصل بينها ، وعلى الرغم من اختلاف الأقطار التى صورت فيها .

ومن الكتب التى تدخل فى نطاق الكتب العلمية كتاب عن « ألعاب الفروسية » محفوظ بمتحف الفن الإسلامى بالقاهرة

ومن الكتب العلمية الإسلامية التى تضم تصاوير توضح نصوصها كتاب يحتوى على الترجمة العربية لكتاب ديسقوريدس ، ويسمى بكتاب الحشائش أو خواص العقاقير ومن تصاوير هذا المخطوط رسوم تمثل بعض الأطباء يقومون باعداد الادوية ، أو بإجراء بعض العمليات الجراحية ومن الكتب العلمية أو الشبيهة بالعلمية التى وصلتنا منها نسخ موضحة بالتصاوير ترجمة كتاب الترياق لجالينوس .

ويشتمل المخطوط على ثلاث عشرة صفحة مصورة لأشكال النبات وجدولا لرسوم الحيات ، بالاضافة إلى مجموعة صور تمثل مشاهير الأطباء الأقدمين : كل منهم فى غرفته يطالع أو يحاور بعض تلاميذه

ومن المخطوطات المزوقة التى يمكن ضمها إلى هذا النوع كتاب عجائب المخلوقات للقزوينى فى مدينة ميونخ كتبه طبيب من دمشق يدعى محمد بن محمد بن على ؛ ويعتقد بعض العلماء أنه تم نسخه فى مدينة واسط . وكان فى مجموعة السيدة زره هومان ببرلين مخطوط غير كامل من كتاب عجائب المخلوقات للقزوينى كتب فى مصر فى القرن الرابع عشر أو الخامس عشر وبالمكتبة الأهلية فى باريس مخطوط من الكتاب نفسه

ومن أشهر الكتب العلمية المزوقة بالتصاوير « كتاب الحيل الجامع بين العلم والعمل » لابن الرزاز الجزرى . ومن المعروف أن نور الدين محمد بن قرا ارسلان – أحد سلاطين بنى أرتق فى ديار بكر – كان قد كلف فى حوالى سنة ١٨٨١م ابن الرزاز الجزرى أن يكتب مقالا عن مخترعاته من الحيل الميكانيكية . وأتم الجزرى كتابه فى سنة ١٢٠٦م ؛ ويشتمل الكتاب على وصف للآلات المختلفة من ضاغطة ورافعة وناقلة ومتحركة.

وبالإضافة إلى كتب الحيل الميكانيكية والنبات والحيوان عنى المسلمون فى العصور الوسطى بتوضيح كتب الفلك بالتصاوير التى تشتمل على صور لرموز البروج ، والنجوم والكواكب . وقد وصلنا عدد من المخطوطات الفلكية لكتاب مجموعات والنجوم وصور الكواكب الثابتة لأبى الحسين عبد الرحمن ابن عمر الصوفى : منها نسخة محفوظة فى مكتبة طوبقابوسراى فى استانبول تم نسخها فى سنة ٥٢٦هـ (١١٣٠ – ١١٣١م) وتضم ٤٦ صورة

غير أن الطابع الفنى أكثر ظهوراً وتميزاً فى التصاوير التى تزوق الكتب الأدبية : ذلك أن المصور لم يكن يعنى فى هذه التصاوير بتوضيح النص بقدر عنايته برسم صورة جميلة تتجلى فيها مهارته ، ومن ثم كان يضيف إلى القيمة الأدبية للكتاب قيمة فنية أخرى . ومن هنا كانت المخطوطات الأدبية المزوقة ذات الموضوع الواحد كثيراً ما تشتمل تصاوير تختلف من حيث الموضوع والتصميم والأسلوب والطابع ، وذلك بحكم اختلاف الفنان أو القطر أو العصر أو المدرسة الفنية .

أقبل المسلمون فى العصور الوسطى على تزويق كثير من مخطوطات الكتب الأدبية . وربما كان أقدم الكتب الأدبية التى عنى المسلمون بتزويقها بالتصاوير كتاب كليلة ودمنة لابن المقفع . ويشتمل هذا الكتاب على مجموعة من القصص الواعظة تدور حول الحيوان وترد على لسانه : وقد كتب « كليلة ودمنة » فى أول أمره باللغة السنسكريتية فى حوالى القرن الثالث الميلادى ، ثم نقل إلى البهلوية (الفهلوية) فى القرن السادس ، وأخيراً نقله عبد الله بن المقفع إلى اللغة العربية فى حوالى سنة ١٣٢هـ (٧٥٠م) . وكان الكتاب فى اللغة الهندية يشتمل على اثنى عشر باباً ، ثم أضيف إليه ثلاثة أبواب عند ترجمته إلى الفارسية ، وأخيراً زيد عليه ستة أبواب أخرى عند ترجمته إلى اللغة العربية ، وهكذا أصبح الكتاب فى صورته العربية يشتمل على ٢١ باباً . وتعتبر الترجمة العربية هى أصل الكتب المعروفة حالياً من كليلة ودمنة سواء منها العربية وغير العربية .

وقد وصلنا من كتاب كليلة ودمنة نسخ كثيرة مزوقة بالتصاوير .

ومن أقدم هذه النسخ مخطوط محفوظ فى المكتبة الأهلية فى باريس يشتمل على ٩٨ تصويرة

ومن أشهر الكتب الأدبية الإسلامية التى شغف المسلمون بتزويقها بالصور كتاب مقامات الحريرى . وقد ألفه أبو محمد القاسم بن على الحريرى فى الربع الأول من القرن الثانى عشر بعد الميلاد ، وقدمه إلى الوزير أنوشروان بن خالد وزير السلطان محمود بن محمد بن ملكشاه السلجوقى وزير الخليفة المسترشد بالله ، والمتوفى سنة ٥٣٢هـ (١١٣٧م) .

استهوت هذه المقامات بروعتها الأدبية ، وجمال أسلوبها ، ولطف دعابتها المصورين ، فعنوا بتزويقها بالتصاوير ، وتمثيل قصصها بالرسوم حتى يمكن أن نقرر أنه لم يحظ كتاب عربى بما حظيت به هذه المقامات من عناية المصورين .

ولقد وصلنا عدد من مخطوطات المقامات المزوقة بالتصاوير موزعة بين دور الكتب فى العالم . وتحتفظ المكتبة الأهلية فى باريس بعدة مخطوطات تشتمل على تصاوير . ومن هذه المخطوطات مخطوط تم نسخه فى سنة ٦١٩هـ (١٢٢٢/١٢٢٣ م)[٢] ، ويضم ٣٩ تصويرة

وتؤلف المقامات مجموعة من القصص القصيرة ذات طابع معين يحكيها أحد أثرياء العرب هو الحرث بن همام ، ويذكر فى كل منها حادثة شاهدها بنفسه ، وكان بطلها يدعى أبا زيد السروجى .

وفى المتحف البريطانى مجموعة أخرى من مخطوطات المقامات المزوقة بالتصاوير منها مخطوط يشتمل فى حواشيه على تاريخ يظهر منه « السادس عشر من ذى الحجة سنة ستمائة و ... » ويضم ٣١ صورة

ومن مخطوطات المقامات المزوقة المحفوظة بالمتحف البريطانى مخطوط يرجع إلى عصر أحدث من المخطوطات السابقة(٢) ، ويشتمل هذا المخطوط على ٧٨ تصويره تمتاز بروعة ألوانها ، وبجودة زخارفها وعمارتها ، وإتقان رسومها ، وبالمهارة فى التعبير عن الإحساس والعواطف والمشاعر . ومن الواضح أن بعض تصاوير هذا المخطوط منقول من مخطوطات سابقة مثل المخطوط رقم Or. 1200 المحفوظ بالمتحف نفسه ، ويمكن أن يلاحظ ذلك مثلا من مقارنة الصورتين اللتين توضحان « الاجتماع فى مكتبة البصرة » فى المقامة الثانية .

ومن الكتب الأدبية التى زوقت بالتصاوير كتاب الأغانى لأبى الفرج الأصفهانى . وقد عثر على أجزاء من نسخة مخطوطة لهذا الكتاب تشتمل على تصاوير ؛ وقد كتب هذه النسخة محمد بن أبى طالب البدرى فى سنة ٦١٤هـ (١٢١٧ – ١٢١٨م) . وكانت هذه النسخة تتألف من عشرين جزءاً لم يصلنا منها إلا ثلاثة عشر جزءاً : أربعة منها محفوظة فى دار الكتب المصرية بالقاهرة ، وتسعة فى المكتبة الأهلية فى إستانبول . وعثر فى بعض هذه الأجزاء على تصاوير تؤلف كل منها غرة أحد أجزاء الكتاب

وبالاضافة إلى ذلك يوجد فى برلين مخطوط مزوق اخر من كتاب الأغانى بتاريخ سنة ١٢٣٠م ، كما توجد ترجمة فارسية للكتاب نفسه تزوقها التصاوير وترجع إلى سنة ١٢٥٠م .

ومن أهم الكتب الأدبية التى عنى المسلمون بتزويقها بالتصاوير كتاب الشاهنامه للفردوسى . والشاهنامه ملحمة فارسية تتألف من أكثر من ٥٠ ألف بيت ؛ أتم نظمها أبو القاسم الفردوسى فى سنة ٤٠٠هـ (١٠١٠م) ، وأهداها للسلطان محمود الغزنوى . وتشتمل الشاهنامه على معظم ماوعى الفرس من أساطيرهم وتاريخهم من أقدم عهودهم حتى الفتح الإسلامى . وهى مرتبة ترتيباً تاريخياً : إذ تذكر الأسرة فتبدأ بأول ملوكها تبين تاريخه ؛ وتذكر ما جرى فى عهده من الأمور ، ثم تذكر الملك الثانى ، وهكذا ؛ ويستمر القصص فى الشاهنامه ٣٨٧٤ سنة . وتعنى الشاهنامه بصفة خاصة بأخبار ملوك الفرس وأبطالهم ومؤابذتهم وحروبهم مع غيرهم من الأمم والشعوب . وللشاهنامه مكانة جليلة عند الفرس : إذ تعتبر سجلا لتاريخهم وأناشيد مجدهم ، وديوان لغتهم(١) .

وقد وصلنا مجموعة كبيرة من مخطوطات الشاهنامه الفارسية المزوقة بالتصاوير ؛ غير أن أقدم النسخ المؤرخة لا ترجع إلى ما قبل القرن الرابع عشر بعد الميلاد . ومن أقدم المخطوطات المؤرخة المعروفة نسخة محفوظة فى مكتبة طوبقابوسراى فى استانبول كتبها الحسن بن على البهمنى فى سنة ٧٣١هـ (١٣٣٠/١٣٣١م) ؛ ويشتمل هذا المخطوط على خمس صفحات مزخرفة بالاضافة إلى ٨٩ تصويرة .

والى جانب هذه المخطوطات المؤرخة من الشاهنامة وصلتنا مخطوطات أخرى غير مؤرخة من الكتاب نفسه . ومن هذه المخطوطات مجموعات من التصاوير تتفق فى أسلوبها مع تصاوير المخطوطات المؤرخة التى ترجع إلى النصف الأول من القرن الرابع عشر بعد الميلاد .

ومن الكتب الأدبية التى أغرم بها الفرس ، وأقبل مصوروهم على تزويقها المنظومات الخمس لنظامى (سنة ٥٣٥ ـ ٥٩٩ هـ / ١١٤٠ ـ ١٢٠٢ م) أحد أعاظم الشعراء فى فارس . وتعتبر المنظومات الخمس أعظم مؤلفات هذا الشاعر القدير ، وتتألف من خمس قصائد أو منظومات . وأولى هذه المنظومات هى « مخزن الأسرار » ؛ أتمها نظامى فى سنة ٥٦١هـ (١١٦٥/١١٦٦م) وأهداها إلى الدجيز اتابك اذربيجان ؛ وهذه المنظومة ذات طابع صوفى تهذيبى . والمنظومة الثانية « خسرو وشيرين » ، نظمها الشاعر فى سنة ٥٧١هـ (١١٧٦م) ، وأهداها إلى أبناء الدجيز ، وهى قصة خرافية تتفق فى بعض أجزائها مع الشاهنامه . والمنظومة الثالثة « ليلى والمجنون » ؛ وتم نظمها فى سنة ٥٨٤هـ (١١٨٨/١١٨٩م) ؛ وهى تحكى قصة الحب بين قيس وليلى ؛ وتعتبر هذه القصيدة أكثر المنظومات الخمس نجاحاً . والمنظومة الرابعة « سكندر (أو اسكندر) نامه » ، ونظمت فى سنة ٥٨٧هـ (١١٩١م) ، وتنقسم هذه المنظومة إلى جزءين : إقبال نامه وخردنامه ؛ واتخذ نظامى قصة الإسكندر أساساً لهذه المنظومة ، غير أنه تعرض فيها لموضوعات علمية مثل ما أورده من مناقشة الإسكندر لأستاذه أرسطو حول كثير من المعلومات ، ومن ثم جاءت هذه القصيدة أشبه بدائرة معارف . أما المنظومة الخامسة فهى « هفت بيكر » ؛ وتم نظمها فى سنة ٥٩٥هـ (١١٩٨/١١٩٩م) ؛ وتتكلم هذه القصيدة عن الملك الساسانى المحبوب بهرام جور ؛ غير أن الشاعر لم يعن هنا ببطولة بهرام جور أو فروسيته أو مغامراته الحزبية ، ولكنه أورد سبع قصص حكيت له على لسان سبع بنات لملوك سبعة أغرمن بالأمير الفارسى ؛ وتتصل كل من هذه القصص بأحد أيام الأسبوع السبعة ، وأحد الكواكب السبعة ، وأحد الألوان السبعة .

وللمنظومات الخمس مكانة رفيعة فى الأدب الفارسى ؛ ومن الملاحظ أن أسلوبها من طراز خاص يمكّن القارىء من تصور حوادثها مما ساعد على تصويرها بالرسوم .

ويمتلك المتحف البريطانى بلندن مخطوطا مزوقا من المنظومات الخمس له أهمية خاصة . وعلى الرغم من أن هذا المخطوط غير مؤرخ فإن إحدى تصاويره تشتمل على التاريخ ٩٠٠ هـ (١٤٩٤/١٤٩٥ م) الذى يظهر على رسم عتبة إحدى النوافذ ؛ كما أن أسماء المصورين ميرك وعبد الرزاق وبهزاد توجد إما كل بمفرده أو كل اثنين معاً على تسع عشرة تصويرة من تصاوير هذا المخطوط التى تبلغ اثنتين وعشرين ؛ وكذلك يوجد اسم « قاسم على » على سبع تصاوير فى هذا المخطوط ؛ غير أن كثيرا من هذه التوقيعات غير أصيلة . ومن الملاحظ أن هذا المخطوط يشتمل على تعليقات بخط جهانجير وشاه جهان فضلا عن ختم شاه جهان نفسه .

وبالإضافة إلى ذلك يحتفظ متحف المتروبوليتان بمدينة نيويورك بمخطوط من المنظومة الخامسة من المنظومات الخمس « هفت بيكر » . ويشتمل هذا المخطوط على تصويرة رائعة تمثل بهرام جور وهو يستعرض أمام أزاده مهارته فى الرماية . ويوجد على هذه التصويرة اسم بهزاد ،

وقد وصلنا عدد من مخطوطات المنظومات الخمس المزوقة بالتصاوير ، وربما كان أقدم هذه المخطوطات نسخة تحتوى على نص يذكر أنها كانت تشتمل على ختم شاه رخ (٨١٧ ـ ٨٣٨ هـ/١٤١٤ ـ ١٤٣٤ م)

ومن الكتب الأدبية التى وصلتنا بعض مخطوطاتها المزوقة منظومة خواجو كرمانى التى تتحدث عن غرام هماى الأمير الإيرانى بهمايون الأميرة الصينية . وقد ولد كمال الدين أبو العطاء محمود بن على المعروف بخواجو كرمانى فى كرمان فى شوال سنة ٦٧٩ هـ (يناير سنة ١٢٨١ م) ، وتوفى فى شيراز فى حوالى ٧٥٣هـ (١٣٥٢م) . ويستشف من منظومته هماى وهمايون أنه عاش فى بغداد بعض الوقت . وقد كتب خواجو كرمانى « خمسة » على نمط « خمسة نظامى » ـ شأنه فى ذلك شأن كثيرين من الشعراء الفرس المتأخرين . وتكوّن « هماى وهمايون » إحدى منظومات « خمسة » خواجو كرمانى ، وهى تصف مغامرات هماى ابن شاه هوشنج وحبه لهمايون ابنة عاهل الصين ، وتذكر كيف اجتمع العاشقان على الرغم من دسائس النقفور أو ملك الصين والد الأميرة ، وكيف قتل هماى أباهمايون فى بعض المعارك .

وبالمتحف البريطانى مخطوط مزوق من هذه المنظومة كتبه الخطاط المشهور ميرعلى التبريزى فى بغداد فى سنة ٧٩٩ هـ (١٣٩٦ م) . وتشتمل إحدى تصاوير هذا المخطوط على توقيع المصور « جنيد نقاش السلطانى » : الذى كان فى رعاية السلطان غياث الدين أحمد (١٣٨٢ ـ ١٤١٠م) أحد أسرة الجلائريين المغولية التى كانت تحكم العراق فيما بين سنتى ١٣٣٥ و ١٤٣١م . وتعتبر هذه التصويرة أقدم التصاوير الإيرانية المعروفة التى تشتمل على توقيع مصور

امتد تزويق المخطوطات الإسلامية فى العصور الوسطى على الكتب أيضاً إلى المؤلفات التاريخية ومن أهم الكتب التاريخية التى عنى المصورون بتزويقها كتاب « جامع التواريخ » الذى ألفه الوزير رشيد الدين . ولد رشيد الدين فى همدان فى حوالى سنة ١٢٤٧ م ؛ وارتبط ارتباطاً وثيقاً بسلاطين المغول : ذلك أنه بعد أن بدأ حياته العملية بممارسة الطب ارتقى فى سنة ١٢٩٨ م فى أثناء عهد غازان خان (١٢٩٥ – ١٣٠٤ م) إلى وظيفة الصدر ، وفى الوقت نفسه إلى مرتبة مؤرخ القصر ؛ وفى سنة ١٣٠٣ م صحب السلطان غازان خان فى حملة له على الشام ؛ ثم عظم نفوذه فى عهد أولجايتو (١٣٠٤ – ١٣١٦ م) ، كما بلغ أيضاً أوج حياته العلمية . وعنى رشيد الدين عناية فائقة بالعلوم والفنون ؛ وقد شيد ضاحية جديدة لمدينة السلطانية حاضرة المغول الجديدة فى فارس عرفت باسم « الرشيدية » نسبة إليه ، وكانت تتألف من مسجد ومدرسة ومستشفى ، بالإضافة إلى عدة آلاف من البيوت . وبدأ رشيد الدين فى كتابة « جامع التواريخ » لغازان خان ، ثم أمره أولجايتو بإتمامه ؛ وكان موضوع الكتاب فى أول الأمر يشتمل على تاريخ المغول بصفة عامة ؛ ولكنه – بعد تمامه فى سنة ١٣١٠/١٣١١ م – صار يتألف من مجلدين : المجلد الأول يشتمل على تاريخ القبائل التركية والمغولية ، وتاريخ جنكيزخان وأسلافه وخلفائه حتى غازان ؛ والمجلد الثانى يشتمل على تاريخ العالم منذ آدم ، وتاريخ ملوك الفرس القدامى ، ثم تاريخ الإسلام حتى القضاء على الخلافة العباسية بالإضافة إلى تاريخ كثير من الشعوب والطوائف والأديان . وكتب رشيد الدين تاريخه باللغتين الفارسية والعربية .

ومن الكتب التى حظيت بعناية المصورين المسلمين كتاب الآثار الباقية عن القرون الخالية للبيرونى . وأبو الريحان محمد بن أحمد البيرونى مؤلف عربى من أصل فارسى ، ولد فى ذى الحجة سنة ٣٦٢هـ (سبتمبر سنة ٩٧٣م) فى ضاحية من ضواحى خوارزم ، وتوفى فى ٣ رجب سنة ٤٨٨هـ (١٣ ديسمبر سنة ١٠٤٨م) . وعنى البيرونى بدراسة الرياضة والفلك والطب والتاريخ ، وكانت له مراسلات مع ابن سينا : وألف كتابه الأول العظيم « الآثار الباقية عن القرون الخالية » كنتيجة لهذه الدراسات والمراسلات . ويشتمل موضوع الكتاب ـ فيما يشتمل ـ على تاريخ الأديان .

ولقد وصلنا عدد من مخطوطات « الآثار الباقية » تزوقها التصاوير . وأهم هذه المخطوطات مخطوط محفوظ فى جامعة أدنبره قام بنسخه ابن القطبى فى سنة ٧٠٧هـ (١٣٠٧م) . ويضم هذا المخطوط ٢٤ تصويرة

يمثل بعضها موضوعات دينية إسلامية ومسيحية كان لها تأثير واضح على تصاوير بعض المخطوطات الأحدث من الكتاب ، ولاسيما مخطوط محفوظ بالمكتبة الأهلية فى باريس (رقم arabe 1489) يعتقد بعض العلماء أنه تم نسخه فى مصر فى القرن السابع عشر الميلادى ، ولو أن تصاويره مشابهة تماماً لتصاوير المخطوط الأول .

هذا ولقد وصلنا مخطوطات مزوقة لكتب تاريخية أخرى : ففى مجموعة شستربيتى صفحة من نسخة فارسية لتاريخ الطبرى ترجع إلى سنة ٨٧٤هـ (١٤٦٩م) ، وفى مكتبة طوبقابوسراى فى استانبول مخطوط مزوق من كلياتى تاريخية ، وذلك بالأضافة إلى كتب تاريخية مزوقة أخرى .

ولقد جرت العادة أن تدرس تصاوير المخطوطات – على اختلاف موضوعاتها – فى ضوء المدارس : ذلك أنه اصطلح على تقسيمها إلى أقسام يغلب عليها الطابع الزمنى تعرف باسم المدارس ، وهكذا ظهرت المدرسة العربية التى تعتبر أقدم مدارس التصوير الإسلامية ، والتى انتشرت فى معظم أنحاء العالم الإسلامى فى القرن الثالث عشر والرابع عشر والخامس عشر بعد الميلاد ، وازدهرت فى إيران المدرسة المغولية فى القرن الرابع عشر ، والمدرسة التيمورية فى القرن الخامس عشر ، والمدرسة الصفوية الأولى فى القرن السادس عشر ، والمدرسة الصفوية الثانية فى القرن السابع عشر ، ثم قامت المدرسة الهندية فى الهند ، والمدرسة التركية فى أقاليم الخلافة العثمانية .

ومع هذا فيقصد « بالمدرسة » فى التصوير الإسلامى بصفة أساسية الاتفاق من حيث الأسلوب والمميزات : فإذا قلنا مثلا « المدرسة التيمورية » فلا نعنى بذلك مدرسة انتهت بانتهاء التيموريين ، وإنما نعنى التصاوير المرسومة حسب الاسلوب الذى اصطلح على تسميته بالمدرسة التيمورية . ومن ثم فمن المحتمل أن تبدأ مدرسة أطلق عليها اسم عصر تاريخى معين قبل بداية هذا العصر : وذلك مثل المدرسة التيمورية التى ظهرت فى شيراز قبل استيلاء تيمورلنك عليها . كما أنه ليس من الضرورى أن تقوم مدرسة معينة بعد انقضاء مدرسة أخرى كما قد يفهم من إطلاقنا على مدارس التصوير أسماء عصور تاريخية عباسية ومغولية وتيمورية وصفوية ، بل من المحتمل أن تعيش مدرستان مختلفتان فى وقت واحد وذلك بحكم اختلاف أسلوبهما ، كما هى الحال بالنسبة للمدرسة المغولية والمملوكية إذ تعاصرتا معاً فى القرن الرابع عشر : الأولى فى إيران ، والثانية فى مصر وسورية .

المدرسة الأولى . المدرسة العربية

هي تلك المدرسة التي ذاعت أساليبها وانتشرت مراكزها في المناطق العربية ه العالم الاسلامي، التي تمتد من العراق على الخليج الى الأندلس المطل على المحيـ الأطلسي، والتي يربط بينها جميعا وحدة الجنس واللغة، فشعوبها تنتمي الى الجنسـ السامي ولغتها العربية فضلا عما هناك من روابط أخرى.

واذا كانت الرسوم والصور التي وصلت الينا قد ساعدتنا على التعرف على ماهـ هذه المدرسة في اول نشأتها وأخذ فكرة عن تطورها، الا اننا نجهل الشيء الكثير عـ تاريخها وبخاصة فيما بعد القرن الثامن الهجري اذ يندر أن يصل الينا منها شيء ذ قيمة فنية بعد هذا التاريخ.

مميزاتها العامة: الأرضية عبارة عن خط مستقيم أو أوراق نباتية متموجة تكون مستقيمة تنتهي بشجرة أو فرع نباتي أو تل - هالة حول الرأس - نص كتابي - شريط حول العضد - تحوير عن الطبيعة - سحنة عربية مع رقبة قصيرة أو بدون - ملابس عربية ذات أكمام واسعة، قصيرة قد تصل إلى الركبة، أسفلها سراويل طويلة - الميل نحو الزخرفة - استخدام ألوان براقة لتعويض القصور الفني - تلوين الخلفية.

مراكزها الفنية: إيران في عهد السلاجقة - بغداد - الموصل - ديار بكر - واسط - الكوفة - البصرة - بلاد الشام - مصر - شمال أفريقيا - الأندلس.

أوج ازدهارها: القرن ٦هـ/١٢م.

ومن أهم المراكز الفنية لهذه المدرسة بغداد والموصل ودمشق والقاهرة وقرطبة وغرناطة .

ولذلك كانت من أوسع مدارس التصوير الاسلامي انتشارا ومن أقدمها أيضا اذ وصل الينا بعض انتاجها مما يرجع الى القرن الثاني الهجري .

ومما يؤسف له حقا ما حدث لهذه المدرسة في القرن الثامن الهجري ، اذ فصل جزء هام منها ألا وهو العراق بعد سقوطه في أيدي المغول في منتصف القرن السابع الهجري . فاتبعت مراكزه الفنية اسلوبا آخر يخالف كل المخالفة ماكان سائدا حينئذ في باقي المراكز الفنية للمدرسة العربية .

ومما يلاحظ أن انتاج هذه المدرسة في أيامها الأولى لم يكن يخضع لأسلوب واحد نظرا لسيادة الأساليب المحلية في بداية العصر الاسلامي وعدم توفر الوقت الكافي لكي يكتسب الفن الوليد مقوماته وصفاته .

(أ) المدرسة العراقية

وصل الينا عدد من المخطوطات الهامة المصورة وصفحات مفردة مصورة ترجع الى القرن الثالث عشر، وتنسب الى مدرسة التصوير العباسية أو العراقية ومركز تلك المدرسة مدينة بغداد، التي ظلت محتفظة بأهميتها الثقافية في العالم الاسلامي حتى الغزو المغولي سنة ١٢٥٨م. ويمكن القول ان أغلب المخطوطات العربية المصورة في القرن الثالث عشر انما هي ترجمات للقصص التي كتبها الشاعر الهندي بيدبا، والمؤلفات يونانية في علوم النبات والحيوان والطبيعة والطب أو كتب أدبية كمقامات الحريري.

ومن المؤكد أن المدرسة العراقية تأثرت بما حفلت به المخطوطات المانوية من تصاوير. ويعتبر ماني - مؤسس المذهب المانوي الذي جمع بين خليط من العقائد الزرادشتية والمسيحية - من أعظم المصورين الايرانيين وحدث أن هاجر كثير من المانويين الى بلاد العراق في القرن الثامن ولم يأت القرن التاسع حتى ثبتت أقدامهم فيها - ونالوا الحظوة لدى الخليفة المأمون (٨١٣ - ٨٢٣) ولكنهم اضطهدوا اضطهادا شديدا في القرن العاشر، وذكر المعاصرون من المؤرخين أن بغداد شاهدت سنة ٩٢٣ حرق أربع عشرة غرارة من الكتب المانوية، وكشفت رسوم حائطية وكتب مصورة ترجع الى القرنين الثامن والتاسع، وأسلوب تصاوير هذه الكتب هو أسلوب تصاوير المدرسة الايرانية - وظهرت بعض أساليب المدرسة المانوية واضحة في صور المدرسة العراقية في القرن الثالث عشر.

ومن أقدم المخطوطات التي ترجع الى المدرسة العراقية، كتاب في البيطرة كتب في بغداد سنة ٦٠٥هـ (١٢٠٩م) وهو محفوظ بدار الكتب المصرية.

(ب) التصوير في مصر وسورية

ترجع أقدم المخطوطات المزوقة بالتصاوير من مصر وسورية الى عصر المماليك - والحق أن العناية بالتصوير في هذين الاقليمين ترجع الى ما قبل ذلك العصر بوقت طويل. واذا كان لم يصلنا آثار مادية من التصوير ترجع الى القرون الأولى فان المصادر الادبية قد أشارت الى عناية الطولونيين بالصور والى زخرفة خمارويه بستانه بالتماثيل، أما الفاطميون فقد اهتموا بالتصوير واهتموا برعايته واستقدموا بعض مشاهير المصورين من بغداد عاصمة الخلافة العباسية، ولقد كان من عناية الفاطميين بالتصوير أن انتشر أسلوبهم خارج حدود خلافتهم.

وعلى الرغم من أنه لم يصلنا تصاوير مؤرخة يمكن نسبتها الى العصر الطولوني أو العصر الفاطمي نسبة لا تقبل الشك فقد عثر على عدد قليل من تصاوير بدائية صغيرة مرسومة على قطع من الورق التالف ترجع الى ما قبل القرن السادس الهجري، وقد اكتشف الجزء الاكبر من هذه التصاوير في اقليم الفيوم بمصر.

ونرى مما سبق ان الأساليب السلجوقية المتبعة في عصر الأتابكة استمرت في الظهور في العصر الأيوبي، ولقد انتقلت هذه التقاليد السلجوقية الى مصر على يد «صلاح الدين الأيوبي» الذي شب في بلاط «نور الدين بن زنكي» حاكم دمشق وشجع الأيوبيون هذه التقاليد الفنية على الاستمرار فترة حكمهم لسوريا والعراق، كذلك ظهرت في عصر الأيوبيين بعض التأثيرات الفنية البيزنطية بالاضافة الى العناصر السلجوقية.

ومن الكتب المشهورة التي أقبل مصورو المدرسة العراقية على تحليلها بالصور كتاب «مقامات الحريري» الذي يقص مغامرات الحارث (بن همام) وأبي زيد السروجي.

وصلت الينا منه نسخ عديدة، أقدمها النسخة المحفوظة بالمكتبة الأهلية في باريس وهي مكتوبة سنة ٦١٩هـ (١٢٢٢ - ١٢٢٣م)، ويظهر أن التأثير السوري واضح في رسوم هذه المخطوطة حتى أن بعض صور الأشخاص بها تعتبر نقلا عن صور القديسين في المخطوطات المسيحية، وأهم نسخة من مخطوطات مقامات الحريري موجودة في المكتبة الأهلية بباريس، كتبها وصورها سنة ٦٣٤هـ (١٢٣٧م) يحيى بن محمود الواسطي وصور هذه المخطوطة بديعة رائعة وتحوي رسوما آدمية كبيرة وتصور مناظر الحياة الاجتماعية تصويرا واقعيا. فنرى فيها عرب القرن الثالث عشر وهم في المسجد أو الحقل أو الصحراء أو المكتبة، كما نراهم يحتفلون بأعيادهم المختلفة، ومع هذا، وبالرغم من محاولة الفنان التعبير عن الواقع، فان لهذه الصور طابعا زخرفيا واضحا، ولا سيما تلك التي تكونت من موضوعات كبيرة وسارت وفق الأساليب الفنية التي أرست قواعد مدرسة بغداد في القرن الثالث عشر.

ومن بين المخطوطات المصورة التي ذاعت شهرتها في القرن الثالث عشر كتاب «كليلة ودمنة»[1] وهو مجموعة من الأساطير الهندية كتبها بيدبا وترجمها الى العربية عبدالله بن المقفع، وبالمكتبة الأهلية بباريس نسخة مخطوطة رائعة من هذا الكتاب يرجع تاريخها الى حوالي سنة ١٢٣٠م.

وقد احتذى المصور في تلك المخطوطة الأساليب الساسانية في تصوير الحيوانات ومع ذلك فانها تبدو في كثير من الأحيان صادقة التعبير عن الطبيعة وتؤلف رسوم الحيوانات المختلفة ورسوم النباتات والأشجار البحتة في تلك المخطوطة مجموعات

ومن الملاحظ ان الالوان السائدة في التصاوير الاسلامية البدائية هي الأحمر ثم الأصفر والأخضر، ومن المعروف أن هذه الألوان تعتبر من الألوان البدائية التي كان لها السيادة في الفن القبطي، وبالاضافة الى هذه التصاوير البدائية يوجد في مجموعات فنية أخرى عدد من التصاوير يمكن ارجاعها الى العصر الفاطمي ومن هذه الصور صورة على ورقة تمثل انسانا في يده كأس، وبجانبه بعض أواني النبيذ ويعتقد أنها ترجع الى العصر الفاطمي.

واذا كان لم يصلنا من العصر الطولوني وعصر الفاطميين مخطوطات مزوقة، أو تصاوير مؤرخة ذات طابع مميز فان عصر المماليك قد أمدنا بكثير من التصاوير التي تشهد بازدهار مدرسة التصوير الاسلامي في ذلك العصر.

وتشتمل هذه التصاوير على مميزات المدرسة العربية التي سبق أن قابلناها في العراق مع ميل الى الطابع الزخرفي. والحق ان الظروف التاريخية كانت مهيئة لانتقال هذه المدرسة الى دولة المماليك في مصر وسورية، وذلك لأن غزو التتار للعراق أدى الى تخريب مراكز الحضارة والفن، والى هجرة كثير من الفنانين الى الدولة الاسلامية الوحيدة التي استطاعت أن تدحر التتار وهي دولة المماليك في مصر وسوريا.

وليس من شك في أن هؤلاء الفنانين المهاجرين قد أسهموا في الحركة الفنية التي ازدهرت في هذين الاقليمين تحت رعاية المماليك - وأنهم أحيوا فيها تقاليدهم الفنية في معزل عن التأثير المغولي الذي غير أسلوب التصوير بعد ذلك في ايران.

وتمتاز المخطوطات المزوقة بالتصاوير التي انتجتها مصر وسورية في عصر المماليك بمحافظتها على التقاليد والأساليب المحلية التي تميزت بها المدرسة العربية في العراق وسوريا منذ آخر القرن الثاني عشر الميلادي، وبخلوها من التأثيرات المغولية وذلك على عكس التصاوير المعاصرة التي أنتجت في أقطار أخرى دخلها التتار وصاروا يحكمونها.

ومن أقدم المخطوطات المؤرخة التي تنسب الى دولة المماليك مخطوط مزوق من (مقامات الحريري) محفوظ في المتحف البريطاني وقد نجح المصور في التعبير عن الحركة، كما برع في رسم الزخارف الرائعة وفي استخدام درجات مختلفة كثيرة الألوان.

ومن المخطوطات التي تنسب الى العصر المملوكي، نسختان من كتاب «معرفة الحيل الميكانيكية» للجزري صورت احداهما غالبا في سوريا عام (٧١٥ هـ - ١٣١٥م)، والأخرى كتبت لأحد اتباع السلطان المملوكي صلاح الدين صالح في عام (٧٥٥هـ - ١٣٥٣م).

وبينما نجد مناظر الاشخاص في مخطوطات القرن الرابع عشر الميلادي في العصر المملوكي تتصف بالجمود وتختلف عن مثيلاتها المصورة في القرن الثالث عشر الميلادي، نجد أن الأمر يختلف في رسم الحيوانات، ويتضح ذلك في مخطوطة «كليلة ودمنة» الموجودة في مكتبة بودليان باكسفورد (١٣٣٤م) وفي النسخة الموجودة في المكتبة الأهلية بباريس، حيث تميزت هذه الرسوم بأسلوب واقعي متقن.

(جـ) التصوير المغربي الأندلسي

اذا كان الفن الاسلامي بمجموعه يتميز بأنه فن يجمع بين الفن العربي الأصيل وبين فن كل قطر انتشر فيه الاسلام أو ضمه الحكم العربي، فان هذه الميزة أيضا تظهر في المغرب والأندلس بتمازج الفنين الشرقي والبربري .

وأول من أدخل الفن الاسلامي الى أفريقيا هم الاغالبة، ووضعوا أسس الفن الجديد في القيروان .

وقد أشارت بعض المصادر التاريخية الى انتقال بعض الفنانين من بلاد الشرق الى الأندلس، ومع ذلك فلم يصلنا من تصاوير المخطوطات التي تنسب الى الأندلس الا عدد قليل .

ومن أهم المخطوطات المزوقة التي تنسب الى الأندلس، وفي الوقت نفسه تعتبر دليلا على انتشار تقاليد المدرسة العربية الى أقصى الغرب مخطوطة من قصة (بياض ورياض) محفوظة بالفاتيكان، وتمثل تصاوير هذا المخطوط قصص غرام «بياض» لمحبوبته والمراسلات التي دارت بينهما والمؤامرات التي دبرت لجمعهما أو للتفريق بينهما .

وتشتمل تصويرات هذا المخطوط على مميزات المدرسة العربية، مثل عدم وجود تناسب بين العمارة والرسوم الآدمية ،وعدم الاهتمام بقواعد المنظور وعدم التجسيم وتصوير الأشخاص يرتدون ثيابا فضفاضة لا تمثل اجزاء الجسم .

وخلاصة القول . . فان للفن العربي الاسلامي مميزات تختلف باختلاف نوع الفن والعصر والمكان ولكن فيها صفات مشتركة عامة هي :

- انه فن ديني تأثر بروح الاسلام وانصبت أنواعه المختلفة على المواضيع الدينية في الدرجة الأولى.

- انه فن كثير الزخرفة، وملء القطعة الفنية بالزخارف عنصر رئيسي في الفن الاسلامي - وقد اعتمد العرب على عنصرين اثنين في الزخرفة: الأشكال الهندسية التي برعوا فيها واقتبسها عنهم الغربيون من مضلعات مختلفة وأشكال نجمية متداخلة ودوائر مزجت خطوطها بالكتابة - والأشكال النباتية التي تفننوا في تصويرها ولكن على طريقة التكرار كما في القاشاني والسجاد - ولم ترسم الأزهار مع ذلك بشكلها الطبيعي الا في فارس وسوريا، أما في غيرها ولا سيما في العصر الفاطمي فقد كان النبات والحيوان معه يحور الى شكل زخرفي خالص.

- ان الفن الاسلامي أهمل رسم الأشكال الانسانية والحيوانية وخاصة في اماكن العبادة. وليس معنى ذلك ان المسلمين لم يعرفوها اطلاقا - ولكن اتقياء المسلمين كرهوا ما حاربه الرسول وكرهه أيام حارب الأصنام - فبقي هذا العنصر الفني ضعيفا مهملا - واحتال بعض الفنانين على الأشكال الحيوانية فحوروها حتى صارت أشبه بالزخرفة.

- انه ذو شخصية واحدة رغم تعدد مراكزه وتباعد أقطاره وظهور التأثيرات المحلية فيه - وترجع الوحدة أولا لتأثير العامل الجغرافي المتشابه في مختلف الأقطار الاسلامية وثانيا لتأثير العامل التاريخي فمجموع العناصر التي تشكل القاعدة البشرية في الشام ومصر والعراق هو من بقايا العرب القدماء وكانت على صلة بشعوب آسيا وأفريقيا التي انطوت تحت لواء الدولة الجديدة التي جاءها الاسلام فوجد الناس فيها في لغة واحدة ودين واحد وحكم متشابه الأسس - ومن هنا صارت الأساليب الفنية متشابهة في كل مكان.

ثانيا التصوير الاسلامي في ايران ومدارسه :

وكان من نتائج الفتوحات العربية أن أصبحت ايران جزءا من الامبراطورية الاسلامية، ونشر العرب فيها دينهم وجعلوا العربية لغة العلم والأدب والدين، الا ان الفرس كغيرهم من الشعوب التي غلبها العرب على أمرها . أثروا في الفاتحين وكانوا أكبر عون لهم على خلق فن اسلامي طبعه العرب بطابع دينهم وظهرت فيه شخصيتهم البارزة، ولكن أساسه مدنيات فارس وبيزنطة وآشور ومصر.

وقد ذكر البعض آراء حول تحريم التصوير في الاسلام وقيل ان الشيعة لا تقر هذا التحريم وبذلك عللوا ازدهار فن التصوير في فارس حيث يسود المذهب الشيعي وهذا لا يعتبر سببا رئيسيا اذ تشتهر ايران بأمجاد ومفاخر تاريخية وحضارية، انتشرت قبل ميلاد المسيح بمئات السنين واننا لا نكاد نعرف أي فن من الفنون قدر له ان يمتد امتداد الفن الايراني فلا يوجد أي فن عظيم لم يأخذ من الفن الايراني شيئا من زخارفه وأساليبه فالفن المصري القديم والفنون الاغريقية والبيزنطية والصينية والهندية كما سبق أن ذكرت كلها مدينة للفن الايراني.

ومعظم الصور الاسلامية توضيحية تشرح قصص الشاهنامة وكليلة ودمنة، ومقامات الحريري والقصص المذكورة في دواوين الشعار وبعض الكتب التاريخية والعلمية وقد كانت الصور الاسلامية كثيرة التشابه فقد نشأت في الاسلام طرز أو مدارس في فن التصوير لها مميزاتها، ويمكن أن نميز بين منتجات كل مدرسة من هذه المدارس.

وقد حدد الدارسون والمحققون القرن الخامس الهجري (الحادي عشر الميلادي) لتقسيم التصوير الفارسي الاسلامي الى أربع مدارس متميزة هي

- المدرسة السلجوقية

هي أقدم مدارس التصوير الاسلامي وكانت معاصرة لمدرسة بغداد. وتلك التي تركت في ثنايا المخطوطات العربية والفارسية صورا رائعة قضى على كثير منها غزو المغول ولم يبق من روائعها الفنية الا القليل.

ولقد كانت تشبه مدرسة بغداد في رسم الاشخاص بالالوان الزاهية والملابس المزركشة رسما تبدو فيه البساطة مع قوة التعبير.

ولعل أكبر دليل على العلاقة الوثيقة بين هذه الصور وايران أن صورها تشبه الرسوم الموجودة على الخزف الايراني.

وفضلا عن ذلك فان ثمة مخطوطات من هذه المدرسة السلجوقية لا يمكن التردد في نسبتها الى ايران، فان لغتها ايرانية ورسومها تمتاز عن سائر الصور السلجوقية - ولا سيما ان الصور في هذه المخطوطات الايرانية ليست مرسومة على الصفحات وبدون أي (أرضية) وتم يفصلها عن المتن أرضية ذات لون واحد يغلب أن يكون الأحمر. ومعظم المخطوطات ترجع الى النصف الأول من القرن السابع الهجري

وطبيعي أن نجد مخطوطات ايرانية من نهاية القرن السابع الهجري يمكن اعتبارها حلقة تتصل بين الأساليب الفنية في المدرسة السلجوقية وفي المدرسة الايرانية المغولية التي خلفتها.

ـ المدرسة المغولية .

يرجع أصل المغول الى قبائل رحل ، موطنها الاصلي صحراء جوبي التي تقع في الصين . ولقد ابتدأ زحف طوفان المغول على البلاد الاسلامية تحت قيادة «جنكنيز خان» في حوالي سنة ١٢١٨م وتمكن هذا القائد في مدة وجيزة من غزو البلاد الاسلامية الواحدة بعد الأخرى .

وتمت له هزيمة السلاجقة بعد أن غزا مدينتي سمرقند والعاصمة الري في عام ٦١٧هـ ـ ١٢٢٠م ، ولقد استطاع «هولاكو» حفيد «جنكيز خان» غزو بغداد وتدميرها في عام ٦٥٦هـ ـ ١٢٥٨م وقتل «المعتصم» آخر الخلفاء العباسيين ، وبذلك قضي نهائيا على الدولة العباسية التي كان السلاجقة قد جردوها من السلطة الدنيوية ، ولم ينجح هولاكو في زحفه غربا حيث تصدى له المماليك في سوريا ونجحوا في هزيمة الجيوش المغولية في عام ٦٥٨هـ ـ ١٢٦٠م .

وقد أسس «هولاكو خان» في منتصف القرن السابع الهجري ، والثالث عشر الميلادي أسرة حاكمة في ايران عرفت باسم الدولة الألخانية ، شمل حكمها العراق وايران ـ ويبدأ تاريخ هذه الدولة بعد تدمير بغداد واستمر حكمها حتى عام ٧٣٦هـ ـ ١٣٣٦م ـ وكانت تبريز عاصمة الدولة الألخانية .

وازدهرت العاصمة تبريز وبعض المدن الفارسية في عهد «هولاكو» وخلفائه بعد فترة الركود الفني الذي اعقب الحروب وتدمير مدينتي الري وبغداد

مميزاتها العامة : انقسم خط الأرضية إلى خطوط ـ انقسمت الصورة إلى مقدمة (أرض) ومؤخرة (سماء) ـ عبّر عن المقدمة بالخطوط والمؤخرة بالسحب أو النجوم أو بستارة ـ تنوع غطاء الرأس ـ سحنة صينية

(عيون منحرفة) - حيوانات صينية خرافية كالتنين - موضوعات حزينة

- سلب ونهب وخطف وكآبة وفقدان أمل وانتحار وقسوة وعنف وحشد جيوش

وأقدم المخطوطات المصورة التي يمكن اعتبارها حلقة الاتصال بين الأساليب الفنية السلجوقية والأساليب المغولية الصينية نسخة باللغة الايرانية من كتاب «منافع الحيوان» - «لابن بختيشوع» كتبت وصورت في مدينة «مراغة» القريبة من تبريز بأمر السلطان «غازان خان» في الفترة من ٦٦٩هـ - ٧٠٤هـ وتوجد هذه المخطوطة بمكتبة بيير مورجان بنيويورك وتحتوي على أربع وعشرين صورة رسمت بيد عدد من الفنانين تتميز كل منها بطابع خاص - فيظهر في بعضها أسلوب المدرسة العربية الذي عرف في بغداد في النصف الأول من القرن السابع الهجري - الثالث عشر الميلادي كمايوجد في بعض الصور الاخرى خليط من عناصر الفنين السلجوقي والمغولي الجديد.

ومعظم الصور تمثل المناظر البرية، رسمت رسما مقتضبا اتبع فيه أسلوب شبيه بالأسلوب التأثيري ولونت بألوان قليلة، اقتداء بالرسوم الصينية ذات اللون الواحد (الاسود)، كما تظهر بها بعض العناصر الصينية الأخرى كرسوم السحب والأشجار مع الوحدات الحيوانية - كما نلاحظ اهتمام الفنان بالجمع بين الاتجاهين الزخرفي والواقعي. فالزخرفي يظهر في رسم الوحدات الطبيعية، اما الواقعي فيتضح في رسم الحيوانات التي رسمت بعناية ودقة.

وبمتحف المتروبوليتان ورقة من مخطوطة أخرى من «منافع الحيوان» بها رسم نسرين في منظر بري، وهناك عدة أوراق أخرى مشابهة لهذا الأسلوب تشتمل معظمها على رسوم سحب ونباتات وأزهار مأخوذة عن الفن الصيني.

وقد تأثر الانتاج الفني لتصوير المدرسة المغولية الى درجة كبيرة بالمؤرخ الوزير رشيد الدين ومن أهم آثاره كتاب «جامع التواريخ» الذي جمع فيه تاريخ المغول وسرد علاقتهم بسائر الأمم، وأمر بعمل عدة نسخ منه بالعربية والفارسية وقدمها لأصدقائه من العلماء نظرا لأهميته التاريخية.

وتوجد نسخة منها تحمل تاريخ سنة ٧٠٧هـ - ١٣٠٧م محفوظة في مكتبة جامعة أدنبرة.

وفي مكتبة طوبقا بوسراي باستانبول مخطوطتان أخريان من كتاب «جامع التواريخ» نسختا في حياة رشيد الدين - الأولى مؤرخة في سنة ٧١٤هـ - ١٣١٤م والثانية في سنة ٧١٧هـ - ١٣١٧م.

وتتضح الصفات المميزة للمدرسة الايرانية في نهاية العصر المغولي، ومن أهم المخطوطات التي يتضح في صورها تطور هذه المدرسة تطورا كاملا نحو المدرسة الأيرانية «مخطوط الشاهنامة»[١] و «كتاب الملوك» وهي الملحمة الشعرية التي أتم الفردوسي نظمها سنة ٤٠٠هـ (١٠١٠م) للملك «محمود الغزنوي» ولقد أقبل المصورون الايرانيون على تصوير هذه المخطوطة ونسخها للملوك في ايران على مر العصور.

وتضم هذه المخطوطة ما يقرب من خمس وخمسين صورة معظمها من الحجم الكبير، وتعتبر كلها من روائع التصوير العالمي - وهي موزعة الآن بين متاحف عدة ومجموعات خاصة في أوربا وأمريكا.

ويلاحظ في صورها الجمع بين العناصر الصينية والايرانية فيتضح الأسلوب الصيني في المناظر البرية المرسومة بألوان قاتمة، والأسلوب الايراني في المناظر التي رسمت بها الأشخاص والملابس والعمائر بالألوان الزاهية[٢].

وقد نجح الفنانون نجاحا كبيرا في التعبير عن القوة والعنف والصخب والاحتدام في المعارك الحربية. محاكاة للمعارك التي خاضها المغول أنفسهم.

مراكزها الفنية: إيران والعراق.

أو يج أز دبخارها : القرن ٧هـ / ١٧م بعد أن قضى المغول على الخلافة العباسية في إيران والعراق وحكموا الصين وإيران .

وتوجد مخطوطات أخرى عديدة من الشاهنامة رسمت بأسلوب يخالف تماما أسلوب مدرسة تبريز ربما صورت في مدينة شيراز وهو أسلوب أقل اتقانا من أسلوب مدرسة تبريز المعاصرة .

وبعد سقوط الأسرة الالخانية ، تأسست في ايران والعراق عدة مدارس تصوير عظيمة في النصف الثاني من القرن الثامن الهجري (الرابع عشر الميلادي) وكانت مراكزها مدينتي بغداد وتبريز في فترة حكم الجلائريين ، ومدينة شيراز في عهد المظفرين ، ويمكن اعتبار أسلوب هذه المدارس حلقة الاتصال بين المدرسة الايرانية المغولية والمدرسة التيمورية التي ازدهرت في ايران في القرن التاسع الهجري (الخامس عشر الميلادي) .

ويتضح من دراسة خصائص هاتين المدرستين بدء ظهور أسلوب مدرسة التصوير الايرانية القومية التي استوعب فيها الفنان المؤثرات الأجنبية وأخرج منها طابعا ايرانيا زخرفيا جميلا . ومن أهم مميزات هذا الأسلوب الجديد اهتمام الفنان بتسجيل العمق ، وذلك بابعاد خط الأفق الى الخلف مما يزيد من حجم المساحة الأمامية .

ومن دراسة الطراز المغولي في ايران في عهد الأسرة الالخانية ، يتبين لنا أن هذه العائلة أدخلت في ايران عناصر صينية جديدة بالاضافة الى العناصر السلجوقية السابقة لها أهمية كبيرة في تاريخ الفن الاسلامي .

ولقد انتشرت بعض هذه العناصر من ايران الى بعض دول العالم الاسلامي .

وتعد فترة حكمهم مرحلة مهدت لظهور الفن الايراني القومي الذي ظهر في العصرين التيموري والصفوي بعد ذلك .

ـ المدرسة التيمورية .

مراكزها الفنية : إيران عامة وسمرقند خاصة .

خلف تيمورلنك ايلخانات المغول بعد فتح تبريز عام (٧٨٨هـ ـ ١٣٨٦م) وبغداد في (٨٠٤هـ ـ ١٤٠١م) ووصلت جيوشه الى آسيا الصغرى، ولقد اشتهر تيمورلنك بالقسوة فخرب شيراز وبغداد ودمشق وكانت عاصمته سمرقند، ولكن كان مغرما بقراءة أشعار حافظ ونظامي، وكان هو وخلفاؤه من أكبر المشجعين للفنانين والعلماء والأدباء .

أوج ازدهارها : القرن ٩هـ/١٥م بعد سقوط أسرة هولاكو مؤسس الدولة المغولية

وخلف تيمورلنك بعد وفاته ابنه شاه رخ عام ٨٠٧هـ ـ ٨٥١م ـ (١٤٠٥ـ١٤٤٧م) الذي نقل مركز الحكم الى عاصمة جديدة باقليم خراسان الواقعة قرب الحدود الافغانية هي مدينة «هراه» ومنح افراد أسرته ولاية المدن الهامة في ايران .

وقد مهدت العصور السابقة لهذا العصر ـ فكانت فيها مراحل الاقتباس والاختيار والتأثر الكبير بالفنون الأجنبية، وقدر لعصر تيمور وخلفائه أن يشهد ازدهار طراز ايراني قوي الى حد كبير .

وتذكر بعض المصادر التاريخية ان تيمور لنك عمل على أن يجمع في عاصمته سمرقند أكبر عدد من الفنانين والصناع، فنقل اليها مئات المصورين من بغداد وتبريز وغيرهما من البلاد التي استولى عليها .

وكانت عناية الملوك والأمراء التيموريين بالعلم والأدب والفن سببا في ازدهار الحضارة الاسلامية الفارسية .

ـ مدرسة هراة :ـ

وقد أزدهر فن تصوير المخطوطات في ايران في العصر التيموري .وظهرت له مراكز متعددة تميزت بأساليب وموضوعات وطنية خاصة استمدت مميزاتها وخصائصها من تقاليد ايران وثقافتها .

ولقد ساعد على ازدهار هذه المراكز اهتمام الحكام التيموريين بالفنون وتقديرهم للقائمين بها كما سبق أن ذكرت ، ولقد تكونت أولى مراكز مدرسة التصوير التيمورية في مدينة سمرقند التي جمع فيها (تيمور) أشهر الفنانين .

ويبدأ العصر الذهبي للتصوير الايراني في عهد خلفاء تيمور ، ابنه «شاه رخ» وأحفاده «أولوج بك» و «باى سنقر» و «اسكندر سلطان» .

وقد ظهر الاهتمام بفنون الكتاب في مدينة هراة بخراسان التي اختارها «شاه رخ» ابن تيمور وخليفته مقر المملكة ـ وكان محبا للفنون وأسس مكتبة له في هراة عمل فيها عدد من المصورين والمذهبين لتوضيح المخطوطات التي ضمتها المكتبة ، وكان اهتمامه موجها الى المخطوطات التاريخية والدينية .

واكتمل نضوج مدرسة التصوير التيمورية في هراة في رعاية الأمير «بيسنقر ميرزا» ابن «شاه رخ» الذي كان معجبا بفنون الكتاب ، فأسس مكتبة ومعهدا لفنون الكتاب ، كان يعمل به أربعون فنانا بين مصور ومذهب وخطاط ومجلد .

مميزاتها العامة . أصبحت الأرضية عبارة عن حزم نباتية ، علاوة على أشجار [illegible] ـ الرومانسية والمناظر العاطفية ـ تمثيل مناظر الطرب والمسرات ـ الاهتمام بالطبيعة والواقعية ـ رسم الجبال على شكل إسفنج

وانتقل الاهتمام بفنون الكتاب منذ ذلك الوقت من شيراز الى هراة ، والتحق كثير من مصوري شيراز بمكتبة الأمير بيسنقر وكونوا من انتاجهم

مدرسة تصوير ذات أسلوب خاص مميز، وكـان من نتيجة نشـاطهم ظهور عـدد كبير من المخطوطات المصورة على درجـة كبيرة من الاتقـان، وبذلـك تبوأت مـدينة هـراة مركزا رئيسيا في مدرسة التصوير الايراني.

ولقد استمدت مدرسة بيسنقر أسلوبها من المدرسة المغولية التي ظهرت من قبل في هراة ومن الأسلوب التيموري الذي ظهر منـذ عدة سنـوات في شيراز والـذي عاصره بيسنقر في شيراز، بـالاضافـة الى بعض أساليب آسيـا الوسـطى المحلية التي ظهـرت نتيجة البعثات المتبادلة بين الصين وايران في عهده.

ومن دراسة صور مدرسة هراة يتضح فيها الأسلوب التيموري الجـديد الـذي تميز بالعمق والميل الى رسم العناصر الطبيعية بأسلوب بعيد عن محاكاة الطبيعـة مما يكسب الصورة أسلوبا زخرفيا جميلا.

ولا شك أن لمدرسـة هراة الفضـل في خلق أسلوب وطني ايراني في فن التصـوير، وهو الأسلوب الذي أخذ يستوعب تدريجيا التأثيرات الأجنبية.

وقد اهتم مصورو بلاط «بيسنقر» في هراة بتصوير المخطوطـات التاريخيـة القوميـة وأهمها مخطوطة الشاهنامة ـ وتوضح صـور المخطوطـة أسمى ما وصلت اليـه مدرسـة هراة في فن التصوير.

والى جـانب اهتمام مصـوري بلاط هـراة في ايران بتصـوير كتب الشعـر العاطفي وموضوعات الشاهنامة والموضوعات الدينيـة، نجد انهم وجهـوا عنايتهم ايضـا الى تصوير مخطوطة كليلة ودمنة.

وقد أثرت الأحداث السياسية التي ظهرت في ايران في منتصف القرن التاسع الهجري ـ الخامس عشر الميلادي ـ على انتاج مدرسة التصوير في هراة التي بقيت تحت حكم التيموريين بعد تقلص نفوذهم في ايران .

وبالرغم من ذلك نجد ان هراة قد تمكنت من استعادة مركزها الفنى مرة ثانية في فترة حكم السلطان «حسين ميرزا» ٨٧٣-٩١١هـ (١٤٦٨-١٥٠٦م) أو (حسين ميرزا) آخر حكام الأسرة التيمورية ، وتعد فترة حكمه من العصور الذهبية لتلك المدينة في الآداب والفنون .

هذا ويجب أن نلاحظ أنه لم يكن هناك فروق واضحة بين الصور المصنوعة في هراة والصور التي صنعت في غيرها من المدن الايرانية كشيراز مثلا ، والتي ترجع أيضا الى عصر تيمور وخلفائه فان سياسة الحكم في عهدهم كانت كما سبق أن ذكرت اكبر مشجع على نشأة المراكز الفنية في أقاليم الامبراطورية المختلفة التي كان يتولاها أفراد من الأسرة المالكة ، وكان ذلك ايضا داعيا الى تبادل كبار الفنانين ، ولعل أشهرهم كان أكثرهم تنقلا ، ونرى مثلا لذلك في مخطوط «المنظومات الخمس» لنظامي ، محفوظا الأن في جامعة ابسالا ، ويرجع تاريخه الى سنة ٨٤٣هـ (١٤٣٩م) .

وكان حكم السلطان حسين من أزهى عصور التيموريين ، وتسابق الى هراة في عهده رجال الفن والأدب والتاريخ ، وقد ظهر في خدمته أكبر مصوري الفرس وأشهر رجال الفن الاسلامي «بهزاد» .

مدرسة بهزاد :-

ولد كمال الدين بهزاد في هراة حوالي سنة ٨٥٤هـ (١٤٥٠م) ودرس النقش والتصوير وتتلمذ على يد مصور يدعى «ميراك» وذاع صيته فيها كما عمت شهرته داخل ايران وخارجها.

وظل بهزاد في هراة حتى سقوط الدولة التيمورية ولم يترك بهزاد مقره في هراة، الا بعد أن استولى عليها الشاه اسماعيل الصفوى عام ٩١٦هـ - ١٥١٠م فانتقل معه الى تبريز وحظي عنده وعند خليفته الشاه طهماسب بمكانة قل أن يصل اليها فنان من قبل.

وقد توفي عام ٩٣٩هـ - ١٥٣٥م، ومع أنه كان ذا شهرة عظيمة في حياته الا أنه مع الأسف لم يكتب أحد من معاصريه شيئا مفصلا ودقيقا عن فنه الرفيع وما امتازت به صوره من دقة في الرسم وروعة في التعبير، بينما تتحدث عنه الكتب الحديثة بامتداحه وتعده أعظم فنان في عصره وقد كتب عنه المؤرخ الايراني خواند مير (١٤٧٥-١٥٣٥م) يقول :

«وضع بهزاد أمامنا من روائع صوره وفنه العجيب النادر ما يحاكي ما أبدعته ريشة المصور الكبير ماني، وطمست أعماله الفنية ذكرى غيره من مصوري العالم وفاقت صوره صور غيره من سائر الفنانين، بفضل ما وهبته يده من مقدرة سحرية، وانبعثت الحياة في الجمادات بما كمن بين شعرات فرشاته من عبقرية ونبوغ»

وفي سنة ٩٣٠هـ (١٥٢٢م) عين الشاه اسماعيل الصفوي بهزاد مديرا لمكتبته الملكية، ورئيسا لكل أمناء المكتبة، والخطاطين، والمصورين والمذهبين وقد حفظ لنا المؤرخ خواندمير السابق ذكره براءة تعيينه، ونشرت هذه الوثيقة الكبرى مع ترجمة فرنسية في الجزء الرابع والعشرين من مجلة العالم الاسلامي.

ولقد بقي لنا عدد قليل من الصور التي رسمها ووقع عليها بهزاد نفسه ، أو التي تتجلى فيها خصائص أسلوبه .

ومن أشهر المخطوطات التي تتجلى فيها خصائص أسلوب بهزاد مخطوطة المنظومات الخمس للشاعر نظامي مؤرخة ٨٤٦هـ - ١٤٤٢م وحاليا موجودة بالمتحف البريطاني وتحتوي على تسع عشرة صورة تتجلى فيها مهارة بهزاد في توزيع الألوان .

وبمتحف المتروبوليتان رسم رائع من مخطوطة ديوان الشاعر جامي يمثل حلقة ذكر لبعض الدراويش ، يمكن نسبته الى بهزاد أو الى مدرسته والصورة جديرة حقا بريشة بهزاد ، لأنها تشتمل على كل الخصائص التي تمتاز بها الصور الأصلية التي رسمها هذا الفنان الكبير .

وبدار الكتب المصرية مخطوطة تحمل صورها توقيع بهزاد ، وهي مخطوطة «بستان»[١] للشاعر الايراني «سعدي» المؤرخة ٨٩٣هـ - ١٤٨٨م ولقد كتب هذا المخطوط للسلطان ميرزا ويحتوي على ست صور يتضح فيها مهارة بهزاد في ايجاد توازن في توزيع مجموعات الأفراد ، كذلك نلاحظ اهتمامه الشديد برسم الزخارف الهندسية الدقيقة الموجودة في العمائر .

ويرجع الفضل الى بهزاد في ظهور الاهتمام برسم موضوعات من الحياة اليومية لم تكن مطروقة من قبل والدقة والواقعية الكاملة في رسومه ، فكان يرسم الوجوه ومظاهر الأشخاص بحيث تظهر جميع معالمها - كما كانت الصور معبرة تعبيرا ناطقا .

وكان بهزاد يرسم المناظر الطبيعية بجمالها وروعتها ، فمنظر الأشجار والأزهار وأشعة الشمس والسحب وغيرها يبدو طبيعيا رائعا يحاكي الطبيعة الساحرة بكل ما امتازت به من جمال وروعة ، وكان يبرز رسوم العمائر

ونقوشها وزخرفتها مع مراعاة حفظ النسبة بينها وبين الأشخاص الظاهرين فيها أو بجوارها .

وكان بهزاد يميل الى الألوان الأصلية القوية التأثير والمزج العجيب بين الألوان : الأحمر الوردي ، والقرمزي ، والأحمر القاتم والأحمر الطوبي ومختلف درجات اللون الأصفر والأخضر والأزرق وقد زين رسومه ونقوشه بماء الذهب والفضة .
ولا يتسع المقام لاستعراض كل ما ينسب الى بهزاد من الصور الا أننا يجب أن نذكر أنه كان واسع النشاط لم يبتدع مدرسة أو طرازا جديدا وانما عرف كيف يسمو بالأساليب الفنية التي ازدهرت في مدرسة هراة الى الاتقان ، والدقة في مزج الألوان ، والتماسك في التأليف التصويري ، والبراعة في تمثيل العمائر من الخارج والتوفيق في تصوير الطبيعة الريفية والقدرة على رسم الصور الشخصية والتعبير عن الحالات النفسية .

وقد أحرز بهزاد شهرة واسعة فاقت شهرة من سبقه من المصورين ، ومن عاصره أو خلفه منهم ، وتسابق قياصرة الهند من المغول الى جمع صوره والاعجاب بها ، ولكن هذه الحظوة جعلت المصورين يقلدونه ، وحملت الخطاطين والهواة على ان ينسبوا اليه من الصور ما ليس من عمله ، ويقلدون أمضاءه جريا وراء ربح مادي ، أو فخر أدبي .

وكان بهزاد من اوائل المصورين المسلمين الذين عنوا بوضع امضائهم على آثارهم الفنية ، ومن المعروف ان الامضاءات في الفنون الشرقية لم تبلغ من الأهمية ما بلغته في فنون الغرب ، حيث نمت شخصية الفنان وفطن الى حقه في الافتخار بما صنعته يداه .

مدرسة بخارى

سقطت هراة سنة ٩١٣هـ (١٥٠٧م) في يد المغيرين من الأوزبك وعلى رأسهم شيباني خان، وفر حاكمها بديع الزمان الى تبريز - وفر معه كثير من الفنانين بينما ظل عميدهم بهزاد في هراة - ثم قضى الشاه اسماعيل الصفوي على حكمهم وهزم أميرهم محمد خان شيباني وضم خراسان الى ملكه . ولم تبق هراة حاضرة هذا الاقليم، فان الشيبانيين يحكمون من سمرقند وبخارى .

وفي سنة ٩٤٢هـ (١٥٣٥م) اتيح للأوزبك الاستيلاء مرة ثانية على هراة، فنهبوها وهاجر الى بخاري أكثر الباقين فيها من رجال الفن .

وازدهرت في بخارى مدرسة للتصوير معاصرة للمدرسة الصفوية، ويرجع تاريخ تلك المدرسة الى سنة ١٥٠٠م، كما نفي اليها عدد من المصورين والخطاطين من مدرسة هراة، وواصل هؤلاء العمل محتفظين بأساليب المدرسة التيمورية، وعلى الأخص أساليب المصور بهزاد، ومن بين من وفد على بخارى قبل ذلك التاريخ المصور محمود مذهب، وله أعمال كثيرة معروفة وممضاة باسمه، ويتمثل انتاجه في بخارى في مصورة عن صحيفتين من مخطوطة «مخزن الأسرار لنظامي» وهي محفوظة بالمكتبة الأهلية بباريس ونسخها في بخارى مير علي سنة ٩٤٤هـ (١٥٣٧م) .

وبمتحف المتروبوليتان ثلاث مخطوطات وعدد من الصور من مدرسة بخارى، احداها مخطوطة «يوسف وزليخة»[١] للشاعر جامي، كتبها مير علي الحسيني سنة ٩٣٠هـ (١٥٢٣م) .

ويظهر تأثير مدرسته واضحا في المناظر البرية والاشكال الآدمية وخاصة في العمائم المميزة لمدرسة بخارى، واستخدام الألوان الزاهية مثل اللون الأحمر القرمزي الساطع .

كما امتازت هذه المدرسة بالميل الى الصور المستقلة، وبالميل الى نقش هوامش المخطوطات بشتى الزخارف باللونين الذهبي والفضي على ارضية مختلفة الألوان

ـ المدرسة الصفوية

(١) المدرسة الصفوية الأولى

مميزاتها العامة : عمامة الرجل من ١٢ طية (اثناعشرية) . تنتهي [illegible]

[illegible] التي بعصى حمراء ـ واقعية ـ مناظر بلاط (حياة يومية ،

صيد) ـ اجسام ممشوقة رشيقة .

كان حكم الصفويين في ايران عصر رخاء وتقدم ، فعرفت البلاد في القرنين العاشر والحادي عشر (السادس عشر والسابع عشر الميلادي) وفي الربع الأول من القرن الثاني عشر حدث تطور كبير في الفنون ، وبلغت صناعة التصوير في النصف الأول من حكمهم الطويل درجة عظيمة من الابداع والاتقان .

وبعد أن تمكن الشاه اسماعيل من السيطرة على هراة في حوالي عام (٩١٦ـ١٥١٠م) نقل المصورين الى تبريز وعين كبيرهم بهزاد رئيسا للمكتبة الملكية ، أي (مديرالدار الكتب الملكية) في عام ٩٢٨هـ ـ ١٥٢٢م ، ويعد بهزاد المؤسس لمدرسة التصوير الصفوية الأولى التي تكونت وازدهرت في تبريز وقزوين في غرب ايران في ظل رعاية الأسرة الصفوية ، حيث قلد مصورو العصر الصفوي الأول طريقة بهزاد التي تميز بها في رسم الأشجار والأشخاص ولقد ضمت هذه المدرسة من المصورين «سلطان محمد» و «شيخ زادة» و «مظفر علي» و «مير سيد علي» و «سيد ميرنقاش» و «اغا ميرك» .

ولما كان هؤلاء المصورون متأثرين بأساليب المدرسة التيمورية نجد ان الانتاج الأول لمدرسة التصوير الصفوية الأولى من تبريز كان استمرارالما كان سائدا في هراة مع شيء بسيط من التغيير في درجات الألوان التي زاد هدوؤها .

وقد كان الشاه طهماسب ابن الشاه اسماعيل الصفوي مصـوراً ماهـراً، تلقى على يد المصور المشهور «سلطان محمد» وكان بينه وبين بهزاد وأغا ميرك صداقة مما أدى الى ارتفاع شأن التصوير في عهده.

ويتضح أسلوب مصوري بلاط الشاه طهماسب من كثير من صور المخطوط الجميلة المحفوظة بمتحف المتروبوليتان، من ذلك صورة تمثل منظر حديقة ويحتمل تكون أصلا احدى صور مخطوطة نظامي التي ترجع الى النصف الأول من الة السادس عشر، ومع تلك الصورة صورتان أخريان من الشاهنامة.

وتظهر في الصورة الصفوية عظمة ذلك العصر وأبهته، وأكثر ما تعرض لته مأخوذ من حياة البلاط والطبقة الارستقراطية والقصور الجميلة والحدائق الغنـ وتمتاز الأشخاص في هذه الصور بالملابس الفاخرة ورسوم في غاية الدقة، وتـ الألوان وعناية ظاهرة في تخير موضوعات الصور وفي التأليف التصويري بوجه

ومما يميز الصور الصفوية - لباس الرأس - فانه مكون من عمامة ترتفع باستدارة من اعلاها عصا صغيرة حمراء.

واذا كان وجود هذه العمامة في صورة من الصور يدل على أنها ترجع الى عـ الأسرة الصفوية.. فان وجود غيرها أو عدم وجودها هي لا يحتم أن تكون الصـ من غير هذا العصر - اذ ان المصورين غيروا لون العصا فيها بعد.

ولا ريب أن براعة أغاميرك وحذقه لفن التصوير يظهران جلـ في الصور الخمس التي تمثل احداها كسرى أنوشيروان يصغى للبومتـ اللتين تتحدثان على انقاض قصر قديم، ويرى في الثانية مجنون ليـ في الصحراء وحوله حيوانات برية رسمها آية في الدقة والجودة، بينما تمـ

ثلاث صور مناظر بلاط الشاه وحفلات تتجلى فيها العظمة والأبهة .

اما سلطان محمد فتنسب اليه صورتان من هذا المخطوط تمثل الأولى خسرو يفاجىء شيرين تستحم ، ويرى في الثانية بهرام جور يصيد الأسد . والصورتان تكفيان للدلالة على اتقان لمزج الالوان ، ومراقبة دقيقة للطبيعة ومراعاة لأصولها ـ مع براعة فائقة في رسم الوجوه الآدمية والحيوانات ولا سيما الخيل .

ومما ينسب الى هذا المصور «الشاهنامة»[1] الشهيرة التي تشتمل على ٢٥٦ صورة كبيرة فيها كثير من مناظر القتال والصيد .

اما مير سيد علي فقد كان تبريزي الموطن واشترك في تصوير مخطوط «نظامي» الذي عمل للشاه طهماسب بالمتحف البريطاني ، فرسم صورة تمثل عجوزا تقود المجنون الى ربع ليلى ، والصبية يقذفونه بالأحجار وليلى جالسة أمام خيمتها .

وفي الصورة خيام أخرى انصرف من فيها من النساء الى الأعمال المنزلية المختلفة وراعيان يحرسان قطيعا من الغنم وفي يد أحدهما مغزل بينما يعزف الثاني في مزمار .

(ب) المدرسة الصفوية ، الثانية

مميزاتها العامة : رسوم بالحبر الصيني أو بالقلم الرصاص - مناظر تعليم ومناظر تزية - ومناظر كاريكاتورية فكاهية - توقيعات للمصورين .

أوج ازدهارها : القرن ١١هـ/١٧م ، وامتدت إلى القرن **١٣هـ** وهى من بداية حكم الشاه عباس إلى نهاية حكم فتح على شاه .

حكم الشاه عباس الأكبر بلاد ايران من سنة ٩٨٥هـ (١٥٨٧م) الى سنة ١٠٣٨هـ (١٦٢٩م) وكانت حين اعتلائه العرش يهددها التفكك والاضمحلال ويبقى اسمه في تاريخ فارس رمزا للمجد والعظمة والرخاء .

ونقل الشاه عباس في سنة ١٠٠٩هـ (١٦٠٠م) عاصمته الضخمة الى اصفهان وعمل على تجميلها بشق الطرق الكبيرة وتشييد العمارات الضخمة كما عني كثيرا بالتصوير على الجدران ولا يزال اثر ذلك باقيا في قصرين ملكيين بأصفهان .

كما انشأ معهدا لفنون التصوير ، نسخ فيه الفنانون الايرانيون الكثير من مؤلفات العلماء الأول - وانتقلت آخر مراحل مدرسة تصوير قزوين الى أصفهان العاصمة الجديدة - واكتفى المصورون فيها بتقليد الصور المرسومة في المخطوطات القديمة تقليدا لم يصيبوا فيه نجاحا أو توفيقا .

الا اننا نجد في بعض المخطوطات التي صورت في أوئل عهد الشاه عباس دقة وبراعة . وأحسن مثل لذلك مخطوطة الشاهنامة الموجودة حاليا بمكتبة تشستربيتي بلندن والتي صورت غالبا للشاه عباس بعد توليه الحكم في الفترة بين ٩٩٩-١٠٠٩هـ (١٥٩٠-١٦٠٠م) ويتضح ذلك في احدى صور المخطوطة التي تصور «فريدون مع أولاده» ويظهر من دراسة هذه الصورة تأثر المصور بأسلوب مدرسة هراة القديم الذي تميز بالدقة في تسجيل التفاصيل الدقيقة التي تظهر في العمائر والأشخاص .

ويمتاز هذا العصر بتنوع الانتاج الفني ، اذ ان ظهور التاثير الاوربي خرج بالفنانين الفرس من ميدان الكتاب الضيق وتصويره وتذهيبه الى ميادين أخرى تتجلى في رسم الصور المستقلة .

ولكن تأثير الغرب في التصوير الفارسي كان بطيئا ، وكان ظهوره أولا في اختيار الموضوعات أكثر منه في أسرار الصناعة نفسها ، وظلت التقاليد الفارسية القديمة تقاوم كل تجديد .

وقد كان الشاه عباس الثاني ١٠٥٢ ـ ١٠٧٦هـ (١٦٤٢-١٦٦٦م) متحمسا للغرب وفنونه ، فارسل المصور محمد زمان الى روما ليدرس التصوير فيها ، والظاهر أن الأخير اعتنق المسيحية ثم لجأ الى بلاد الهند ولم يعد الى ايران الا حوالي سنة ١٠٨٧هـ (١٦٧٦م) ، واشتغل بتصوير ثلاث صحائف بيضاء في مخطوط المنظومات الخمس لنظامي الذي كان قد أعد للشاه طهماسب قبل ذلك بأكثر من مائة عام والمحفوظ الآن بالمتحف البريطاني ، ويظهر في هذه الصور تأثير الفنون الأوربية في فن هذا المصور وغيره ممن تلقوا العلم في ايطاليا ، وأكثر ما ظهر هذا التأثير في رسم الأسرة المقدسة والقديسين والملائكة وغير ذلك من المناظر الدينية المسيحية .

وأزداد تأثر المصورين بالأساليب الغربية في القرن الثامن عشر الميلادي وتخلوا عن كثير من الأساليب الايرانية التي تميزت بها مدارس التصوير السابقة . ويظهر ذلك في أعمال مصوري هذه الفترة امثال محمد بكير وغيره وكان هذا بدء اضمحلال في التصوير القومي في ايران .

ولا يفوتنا أن نذكر أن المصورين الإيرانيين الذى عملوا فى القسطنطينية أسسوا مدرسة للتصوير أطلق عليها المدرسة العثمانية تارة والمدرسة التركية تارة أخرى [illegible] من الفنانين الأتراك والمصريين من الأتراك العثمانيين.

ثالثا ـ التصوير الاسلامي في الهند ومدارسه

كما قام المصورون الإيرانيون فى عهد أباطرة الهند المغول المسلمين بتأسيس مدرسة هندية مغولية ، أسسها الامبراطور "بابو" أحد أحفاد تيمورلنك فى الهند .

مميزاتها العامة : قامت فى القرنين ٩هـ/ ١٠هـ بمحاكاة التصوير الإيرانى ـ ثم تأثرت بالبيئة الهندية ـ الوقفة الجانبية التى تذكرنا برسوم قدماء المصريين ـ اتصال السوالف بالشارب ـ ارتداء الأباطرة للتيجان المرصعة بالجواهر علاوة على الحلقان (الأقراط) ـ رسم الأفيال ـ مناظر اليوجا والسحرة ـ التعبير عن الكل باستخدام الجزء ـ عمارة فى ركن من أركان الصورة ـ موضوعات شعبية مستمدة من الملاحم الهندية ـ ارتداء السيدات للسارى .

مراكزها الفنية : دهلى ـ جيبور ـ دكن ـ تبنا ـ راجبوت .

أوج ازدهارها : القرن ١٠هـ/١٦م وامتدت حتى القرن ١٢هـ/١٨م .

وكان من نتائج فتح بلاد هستان، على يد بابر أحد حفدة تيمور، انسياب الحضارة الاسلامية ر هند - وكان بابر هذا أديبا وشاعرا وراعيا للفنون ومولعا بفن بهزاد، وانتعش بالبلاط المغولي أسلوب مزاجه الأساليب الهندية الايرانية، الا أن الأساليب الهندية ظلت مزدهرة بين رجال الفن من الهنود وخاصة في راجبوتانا (Rajputana) في شمال الهند.

ويمكن تقسيم التصوير الهندي الاسلامي الى قسمين أو الى مدرستين:

(أ) المدرسة المغولية الهندية

كان للفنانين الايرانيين الفضل في توجيه هذه المدرسة، ثم حمل الفنانون الهنود رسالتها، وطبعوها بالطابع الهندي.

وما زالت معرفتنا ضئيلة بالصور التي عملت في بلاط بابر، وان كنا نعلم كما ذكرت أن هذا الامبراطور كان عالما وفيلسوفا ورحالة كبيرا وصيادا محبا للطبيعة على أن صور المخطوطات التي تنسب الى عصره قليلة نادرة، وتبين بعضها تأثيرات بهزاد ومدرسة بخارى في فن التصوير.

وجاء همايون من بعد بابر ولكن الأمير شيرشاه قاومه وأجبره على الرحيل سنة ١٥٤٠م ولم يستطع استرداد ملكه الا عام ١٥٥٥م وقضى همايون أيام المنفى في ايران، في ضيافة الشاه طهماسب، وهناك تعرف على كثير من كبار رجال الفنون الذين كانوا يعملون بالبلاط الايراني وفي تبريز التقى همايون بالمصور عبدالصمد الشيرازي ومير سيد علي واستدعاهما سنة ١٥٤٩م الى بلاطه في كابل حيث صورا له القصة الايرانية المشهورة «الأمير حمزة» وهي من قصص المغامرات الخيالية.

ثم جاء «أكبر» وكان كأبيه محبا للفنون ومشجعا لها وخاصة فن التصوير، وأراد أن يشجع على انشاء مدرسة وطنية للتصوير فأسس معهدا حكوميا التحق به حوالي مائة فنان هندي كانوا يعملون تحت ارشاد المصورين الايرانيين.

ولم يقتصر الفنانون الهنود على تلقي أصول الفن على أيدي المصورين الايرانيين الذين كانوا يعملون في البلاط الهندي.

وتم تصوير قصة «الأمير حمزة» فيما بين سنتي ١٥٥٦م - و١٥٧٥م

تقريبا، وتعطينا صور تلك القصة فكرة واضحة عن فن العمارة وعن العادات في العصر المغولي، على أنه وان كانت المناظر البرية ورسوم الرجال والنساء هندية صرفة، إلا أنه لا ينتظر في ذلك العصر إلا أن تكون الألوان والرسوم والزخارف ذات صفات ايرانية واضحة.

وفي أواخر القرن السادس عشر أصبح التصوير المغولي فنا وطنيا صريحا في أسلوبه، نتيجة التأثر بالأساليب الهندية التي أدخلها الفنانون الهنود من كشمير والبنجاب ومن بين المخطوطات التي تولى فنانو البلاط تصويرها، مجموعة من الكتب التاريخية عن حياة تيمور وبابر وأكبر.

ومن الصور التي تعبر عن عصر «أكبر» أصدق تعبير صورة في مخطوطة «تيمورنامة» تمثل تيمور يستقبل أسيرين من أشراف الاتراك وتتجلى في تلك الصورة جميع مميزات الأسلوب المغولي الهندي الجديد ـ وهو أسلوب يجمع بين العناصر الايرانية والهندية والأوروبية.

وقد استمرت التقاليد الايرانية مرعية، غير أن صور الأشخاص والمناظر البرية رسمت بطريقة لم تكن معروفة في الفن الايراني، اذ ادخل المصور المغولي في فنه متأثرا في ذلك بالفن الأوربي ـ طريقة احاطة المناظر البرية بالأجواء المناسبة، والعناية بقواعد المنظور بالاضافة الى محاكاة الطبيعة في رسم الوجوه والملابس.

ثم خلف السلطان «أكبر» في حكم الهند ابنه «جهانجير» الذي يعد من خير رعاة الفنون ويمكن القول أن الأساليب المغولية وضحت تماما فيما عمل في عصره من التصاوير، وان لم تغب عنها بعض التأثيرات الايرانية ـ وقد كان أكثر اعجابا بمناظر أحداث عصره وبالدراسة الصحيحة للنبات والحيوان.

واصبح رسم الصور الشخصية في عصر جهانجير شائعا الى حد كبير وكثيرا ما رسم الامبراطور نفسه، اما بمفرده أو بين رجال حاشيته، وكان

أبو الحسن الايراني أحب رسامي الصور الشخصية لدى جهانجير، الذي خلع عليه لقب «نادر الزمان».

وكان تصوير المتصوفين والنساك الهنود وهم يحادثون الأمراء والأشراف من أحب الموضوعات عند رجال الفن في العصر المغولي، ويحتفظ متحف المتروبوليتان بنماذج منها.

ثم وصل الفن المغولي في تصوير الأشخاص الى قمته في عصر شاه جهان (١٦٢٨-١٦٥٨م) وكان في مقدمة رجال الفن في ذلك العصر محمد فخر الله خان ومير هاشم.

أما في عهد أورنجزيب (١٦٥٨-١٧٠٧م) ابن شاه جهان فقد قل عدد مصوري البلاط، ثم تجمعت عدة عوامل من بينها انصراف الملوك عن رعاية الفن على تدهور فن التصوير المغولي في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر.

(ب) مدرسة راجبوت

ويختلف أسلوب هذه المدرسة عن أسلوب المدرسة المغولية في اعتماد مدرسة راجبوت على تقاليد المدارس الهندية الوطنية وأساليبها ومبتكراتها من الرسوم الحائطية الفخمة، ولهذا تظهر في منتجاتها مميزات الفن الشعبي، وكما تغير الاسلوب تغيرت كذلك الموضوعات التي شاعت في المدرسة المغولية والتي اهتمت بوجه خاص برسم صور الأشخاص وتسجيل الأحداث التاريخية، على حين اقتبست المدرسة الراجبوتية موضوعاتها مباشرة من الأدب الشعبي والملاحم الهندية الكبيرة.

وترجع أقدم الأمثلة التي نعرفها من مدرسة راجبوت الى أواخر القرن السادس عشر أو أوائل السابع عشر. ويمكن تقسيم صور مدرسة راجبوت الى مجموعتين رئيستين: «راجاستاني (راجبوتانا وبندلخاند) وباهاري. وتنقسم هذه المجموعة الاخيرة الى مدرستي جامو (jammu) وكنجرا (Kangra)

التصوير الاسلامي في تركيا :

زوال حكم السلاجقة الاتراك لآسيا الصغرى في أواخر القرن الثالث عشر في اثر هجوم المغول على بلادهم، حل محلهم عدد من الحكام المحليين الاتراك. السلاجقة الاتراك ينتمون الى قبائل التركمان الرحل التي هاجرت من براري قيز في آسيا الوسطى، ولقد بدأ اعتناق اتراك آسيا الوسطى للدين الاسلامي منذ القرن الثامن الميلادي، الا أن انتشار الدين الجديد بينهم بشكل جماعي لم يتم الا في القرن الحادي عشر وكان لذلك أثر كبير في تاريخ الاسلام حيث تبوأ العنصر التركي منذ تلك الفترة مركزا رئيسا في العالم الاسلامي.

ولما كان السلاجقة من اتباع المذهب السني فقد قاموا بالدعوة له في امبراطوريتهم الواسعة التي استولوا عليها في القرن الخامس الهجري (منتصف القرن الحادي عشر الميلادي) وشمل حكمهم ايران وتركيا والعراق.

وبعد أن تمكن السلاجقة من فرض سلطانهم على ايران والعراق والشام، اتجهوا غربا تحت قيادة السلطان «ألب أرسلان» الى آسيا الصغرى واصطدموا هناك بالدولة البيزنطية التي كانت تحكم آسيا الصغرى ونجحوا في الاستيلاء على بعض المدن التركية، وبذلك نجح فرع منهم في تكوين حكم محلي مستقل في المدن التركية التي تمكنوا من انتزاعها من الدولة البيزنطية وكان مؤسس هذا الحكم «سليمان بن كوتلومش» ٤٧١-٤٧٩هـ (١٠٧٨-١٠٨٦م) واستمرت سلطة السلاجقة على جزء كبير من آسيا الصغرى لمدة قرنين من الزمان ازدهرت فيها الفنون - وأصبحت قونية عاصمة الجزء الأوسط من بلاد الاناضول في عهد «مسعود الأول» (٥١٠-٥٥١هـ) - (١١١٦-١١٥٦م) وازدهر الفن السلجوقي في هذه البلاد

في القرن السابع الهجري (الثالث عشر الميلادي) - ووصل هذا الازدهار الى قمته في منتصف هذا القرن في الفترة التي تمكن فيها جنكيز خان المغولي من السيطرة على سلاجقة ايران.

ولقد حاول الأتراك السلاجقة حكام بلاد الأناضول مقاومة الغزو المغولي لبلادهم ولكنهم لم ينجحوا في ذلك، واستمر السلاجقة يحكمون البلاد التركية بصفة ولاة للحكام المغول الذين كان مركز حكمهم في ايران، ولقد أدت هذه الأحداث الى ضعف الحكم السلجوقي في بلاد الأناضول، وما لبثت هذه الدولة السلجوقية ان زالت في أوائل القرن الثامن الهجري (الثالث عشر الميلادي) بسبب تنازع الأمراء على الحكم.

ثم حل محلهم بعض الحكام المحليين الأتراك ومن بين هذه الأسر التركية التي استوطنت آسيا الصغرى في ذلك الوقت، اسرة أصل موطنها أرمينيا تمكنت من الاستيلاء على مقاليد الحكم في تركيا - (العثمانيين) - وترجع تسمية العثمانيين الى اسم مؤسس الأسرة «عثمان بن طغرل» الذي خلف والده في حكم الامارة التي اقطعها السلاجقة إياه عندما ساعدهم ضد الغزو المغولي.

وقد كون السلطان «عثمان» بعد وفاة والده عام ٦٨٠هـ (١٢٨١م) اسرة تركية حاكمة عثمانية ،حارب هو وخلفاؤه الامبراطورية البيزنطية التي بدأ الضعف يدب فيها

واستولى خليفته «أورخان» (٧٢٥-٧٦٤هـ) - (١٣٢٤-١٣٦٢م) على بورصة وأزبك وأدرنة. وامتدت رقعة الدولة العثمانية بعد ذلك بسرعة بعد أن تمكن العثمانيون من اخضاع معظم بلاد العالم الاسلامي لهم - وتخلل ذلك بعض الغزوات لتركيا قامت بها الأسرة التيمورية في أوائل القرن الخامس عشر في عهد السلطان «بايزيد»

[illegible] «محمد الفاتح» على القسطنطينية عاصمة البيزنطيين

عام ١٤٥٢م بعد هزيمتهم واتخذها عاصمة للامبراطورية الجديدة (اسطنبول) وانتزع سليم الأول مصر وسوريا من المماليك في عام ٩٢٢م (١٥١٦م) واتخذ لنفسه لقب خليفة المسلمين ـ ولقد اتسعت الامبراطورية العثمانية في أواسط القرن السادس عشر الميلادي ، فشملت جنوب شرق أوروبا بالاضافة الى العراق والشام ومصر الا ان الضعف دب في الامبراطورية العثمانية في القرن الثامن عشر الميلادي .

وأصبح للدولة العثمانية مكانة دينية في العالم الاسلامي خصوصا بعد أن ظفرت بالسلطة الدينية بالأضافة الى السلطة السياسية ، وأخذ الفن في تركيا مظهرا جديدا بعد ان غزا «محمد الفاتح» مدينة القسطنطينية مركز الآثار البيزنطية ، لذلك تأثر الفن الاسلامي في تركيا بهذا الطراز البيزنطي ، وقام على يد الأتراك العثمانيين طراز فني يتميز بكونه ملتقى تيارات مختلفة، تيار بيزنطي ظهر في العمائر بصفة خاصة ، وتيار ايراني كان له اثر واضح في النسيج والخزف والتصوير وتيار اوربي ظهر في القرون التاسع عشر عندما زاد اتصال الحكام العثمانيين بالبلاد الأوربية ، وزار القسطنطينية عدد من فناني الغرب . ولقد امتد الطابع الفني الذي وجد في العاصمة القسطنطينية (اسطنبول) الى جميع مراكز العالم الاسلامي التابعة للدولة العثمانية مثل دمشق وبغداد والقاهرة وتونس والجزائر .

وقد وصل الينا من فنون الكتب التي ترجع الى عصر السلطان مراد الثاني (١٤٢١-١٤٥١م) ـ الذي كان محبا للعلم ومشجعا للفن ـ بعض المخطوطات في مكتبة متحف (طوبقا) التي تتميز بزخارف مستوحاة من الفن الصيني .

وفي عصر السلطان سليم الأول (١٥١٢-١٥٢٠م) زاد الاهتمام بالفنون الزخرفية ، فقد نقل مهرة الصناع و فنانين من البلاد التي فتحها الى اسطنبول ، كما أخذ معه من ايران من يحذقون فنون الكتب من تصوير وتذهيب وتجليد فأحدثوا عند العثمانيين أثرا ايرانيا واضحا في فن الكتاب وفي بعض الفنون الأخرى

وفي عصر السلطان سليمان القانوني وصلت الينا بعض الأمثلة من المخطوطات المصورة منها مخطوطة «سليم نامة» ومخطوطة «منازل السفر في العراقين» ومخطوطة باسم «السلطان بايزيد» ومخطوطة «كتاب المآثر».

والمخطوطة الأولى قصيدة تزدان بأربع وعشرين صورة توضح فتوحات السلطان «سليم الأول» وهي من عمل مصور مجهول حرص فيها على رسم الملابس وتفاصيل زينتها، والعمائر وتفاصيل زخارفها، وهو متأثر في عمله بالتصوير الايراني.

والمخطوطة الثانية كتبها ووضحها بالصور الفنان «نصوح» الذي رافق السلطان «سليمان القانوني» في حملاته الحربية على ايران والعراق سنة ١٥٣٤-١٥٣٥م، وسجل الأماكن التي نزل بها السلطان خلال هذه الحملات فرسم ١٢٨ صورة تناولت المدن العظيمة مثل اسطنبول وتبريز وبغداد وحلب. وقد صورها بمهارة عظيمة ابرز منها أهم خصائصها من الاسوار والجبال والاشجار والحيوان. والمخطوطة الثالثة فيها عشر صور تبين الحروب التي خاضها السلطان بايزيد الثاني ضد السلطان «جسم» وهي من تصوير هذا المصور.

والمخطوطة الرابعة التي تتضمن «كتاب المآثر» الذي ألفه مؤرخ البلاط العثماني في ذلك الوقت «نعمان بن حسين» وقد كتبه باللغة الايرانية ـ وهو محفوظ في مكتبة قصر طوبقابو.

والجزء الأول من هذا الكتاب يتحدث عن حروب وحياة سلاطين آل عثمان حتى عصر السلطان سليمان القانوني، أما الجزء الثاني فيتحدث عن حياة وأعمال السلطان سليمان القانوني نفسه من مولده حتى وفاته.

ويضم الجزء الأول خمسا وستين صورة من عمل المصور «عثمان» منها ثلاث صور واحدة للسلطان مراد الثاني والثانية والثالثة للسلطان سليم الأول.

الجزء الثاني خمسا واربعين صورة من عمل المصور «عثمان» ايضا منها صورة حصار فيينا والثانية تمثل الانتصار على ملك المجر، والثالثة تمثل مرض السلطان القانوني.

الظاهرة التي تجمع بين هذه الصور هي أن التأثيرات الايرانية فيها واضحة مما يدل على أن هذا المصور كان واقعا تحت تأثير فن التصوير الايراني، ولكنه حريصا في الوقت نفسه على أن يبرز الخصائص العثمانية في ملامح الوجوه، وفي ... وفي غيرها مما يوفر للصورة الشخصية العثمانية.

في عصر السلطان «مراد الثالث» قدم الى اسطنبول المصور الايراني «ولي خان» رحب به السلطان وضمه الى مصوري بلاطه حيث كان لا يزال المصور «عثمان» قيد الحياة يعمل في البلاط.

ومن أهم المخطوطات المزينة التي وصلت الينا من عصر هذا السلطان مخطوطة محفوظة في مكتبة متحف طوبقايو تعرف بكتاب «المهرجان» وهي تدور حول وصف الاحتفالات التي قامت بمناسبة ختان ابن السلطان مراد في سنة ٩٩١هـ-١٥٨٣م اتخذت لها مكاناً في ميدان السلطان أحمد (ويعتبر هذا الميدان من المعالم الهامة القديمة).

كما تحدثنا مخطوطة «كتاب المهرجان» عن الشعب العثماني وتتركز عنايتها على حياة الطبقة الوسطى من التجار وأصحاب الحرف والمهرجين الذين يدخلون بألعابهم وأعمالهم السرور على نفوس الناس، والعناية بالحديث عن الشعب واحتفالاته وإيضاح ذلك بالتصوير ولذلك يعتبر هذا المخطوط فريدا في نوعه بين المخطوطات الاسلامية المصورة.

وفي القرن الثامن عشر، في عصر السلطان أحمد الثالث ظهر في فن التصوير فنان أصله من أدرنة واسمه عبد الجليل شلبي وقد اشتهر باسم لوني Louni - وتتجلى أعماله في مخطوطة عثمانية تفخر بحيازتها مكتبة

متحف طوبقابو تشبه مخطوطة «المهرجان» سالفة الذكر، وفي هذه المخطوطة ١٣٧ صورة توضح ما جرى في حفلات ختان أبناء السلطان أحمد الثالث من رقص وطرب وموسيقى واستعراض.

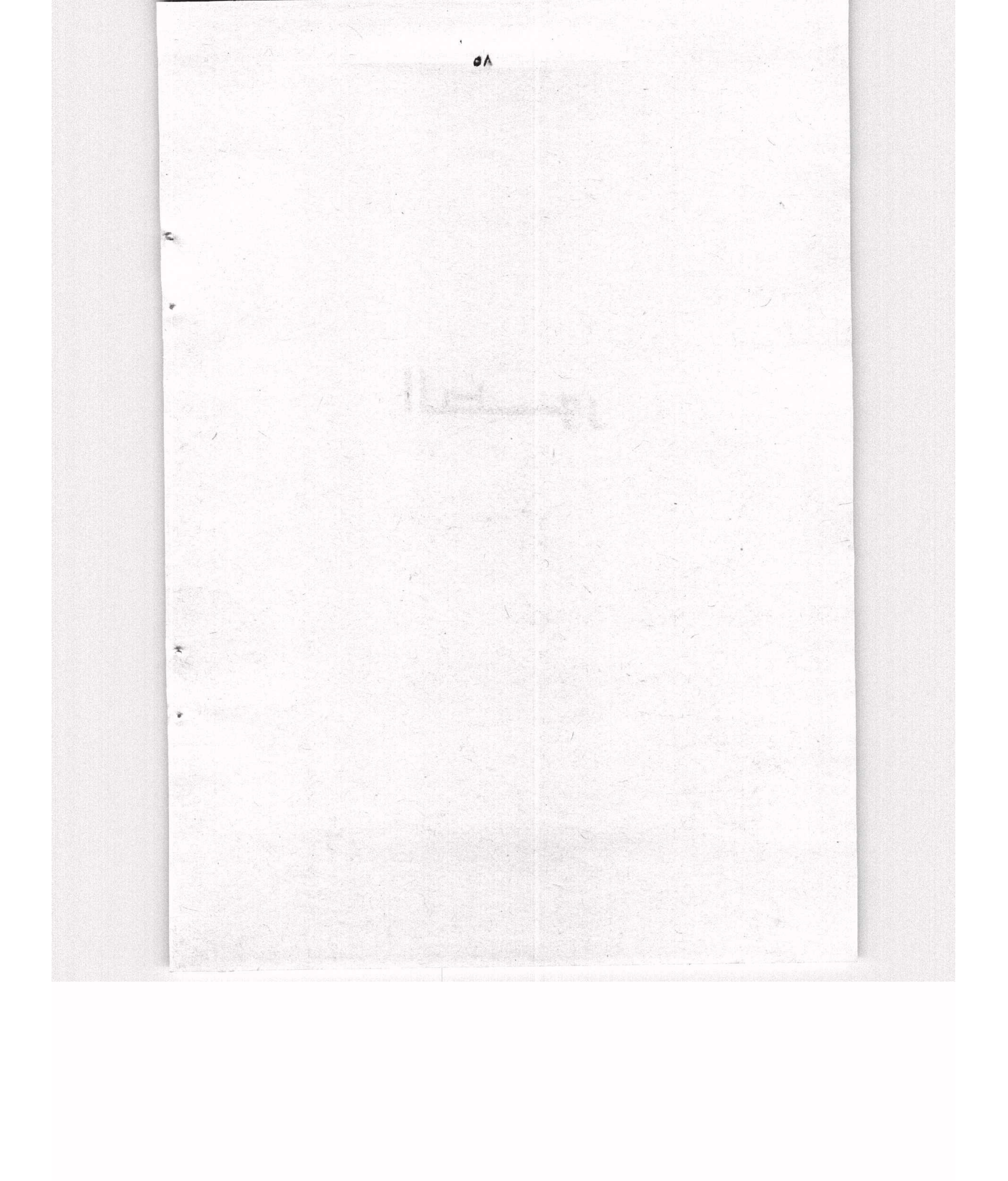
ويتضح من ذلك مدي تأثر هذا المصور بتقاليد التصوير الايراني وتقاليد التصوير الاوروبي المعاصر، ومزجه بين هذه التقاليد مزجا ينم عن مدى استفادته من دراسته، والواقع انهاصوره تجمع بين التأثيرات الشرقية والتأثيرات الغربية في تآلف جذاب لم يطمس الروح العثمانية التي نلمسها فيها.!

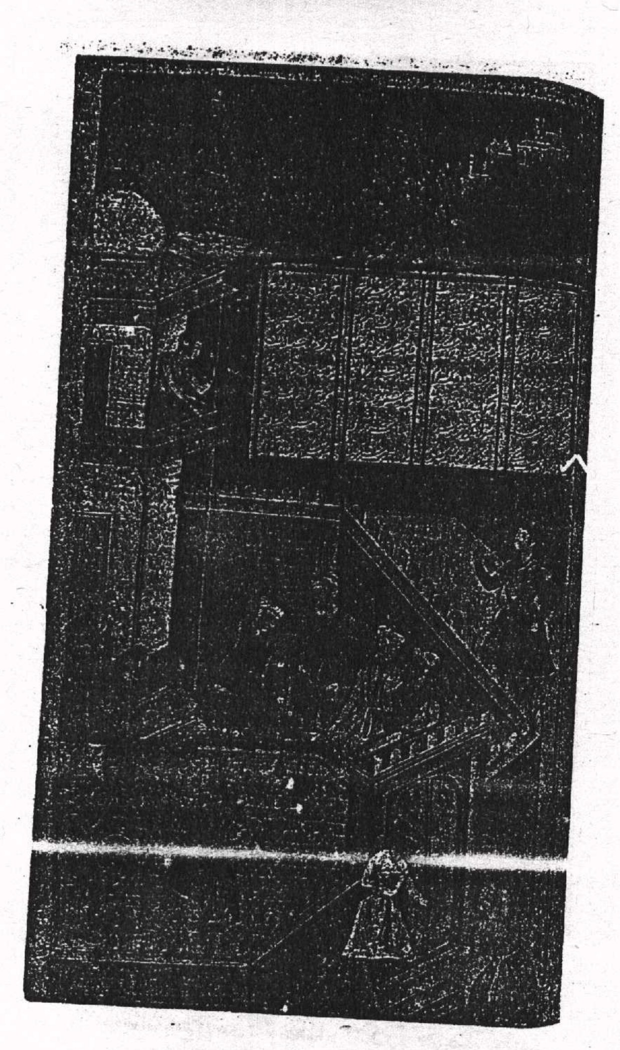
وفي أواخر القرن الثامن عشر في عهد السلطان عبدالحميد الأول، ظهرت شخصية فن التصوير العثماني واضحة جلية، ففي مجموعة متحف طوبقابو صورة تمثل السلطان لا يعرف اسم راسمها، ولكن من اليسير أن نجد فيها وثيقة قيمة في مجال هذا الفن، اذ ان طريقة مزج الألوان فيها، تنم عن اتجاه لا نجده في التصوير الاوروبي المعاصر، ويمكن لنا أن نعتبرها من خصائص فن التصوير العثماني الذي نشأن تدريجيا وأصبح طرازا له مميزاته وأساليبه الخاصة، سواء في اختيار الموضوعات أو في توزيع الأشكال التي لونت بألوان خاصة.

وفي الحق أن من أخص ما يميز التصوير العثماني عن غيره من مدارس التصوير الاسلامي هو تمثيل الواقع وتصويره تصويرا صادقا، فقد رسموا حوادث عصرهم حربية كانت أو اجتماعية في صدق واتقان.

[illegible] التصوير [illegible]
[illegible] — رسم الأخلية والأسلاك [illegible]
[illegible] — تصوير المواكب والاحتفالات —
[illegible]
[illegible] التخصص — [illegible]
[illegible]

الطــــور

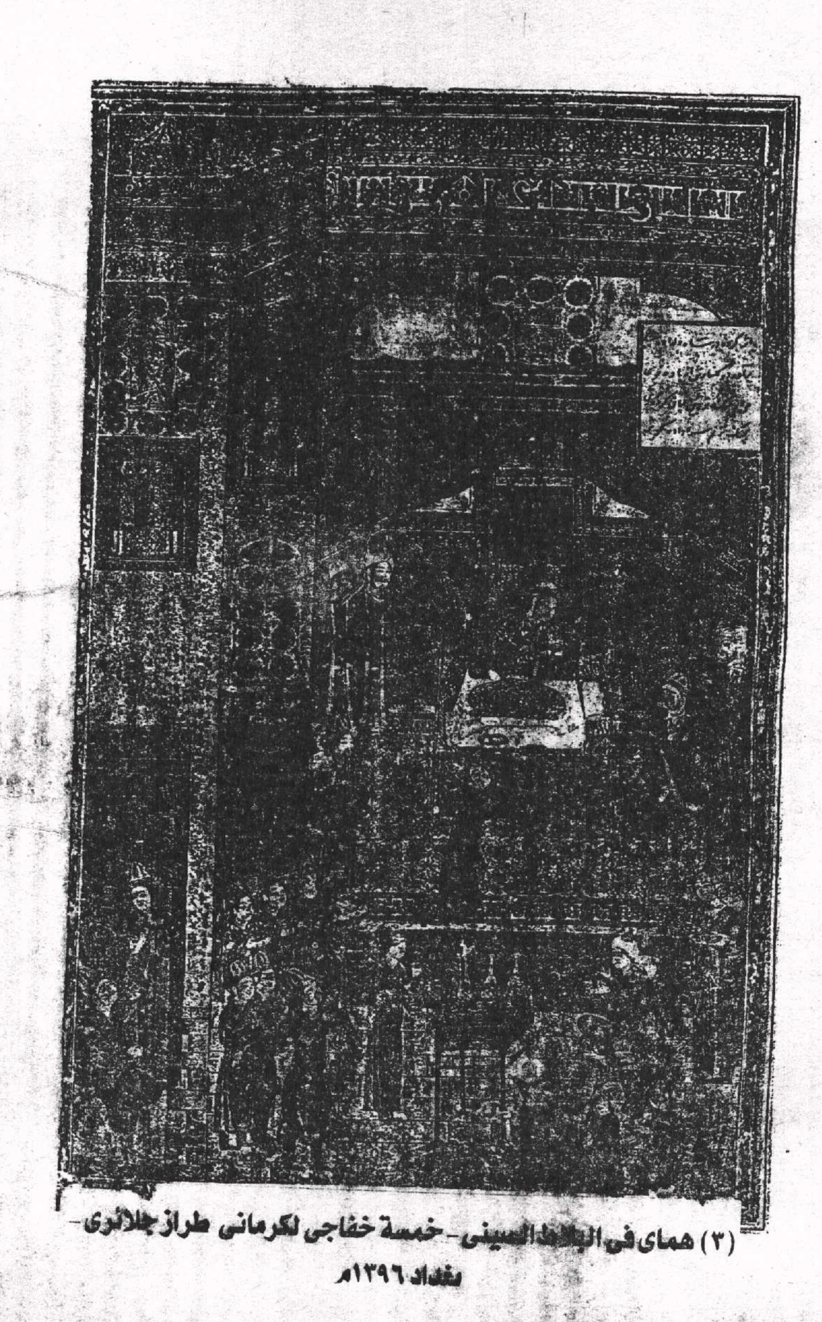




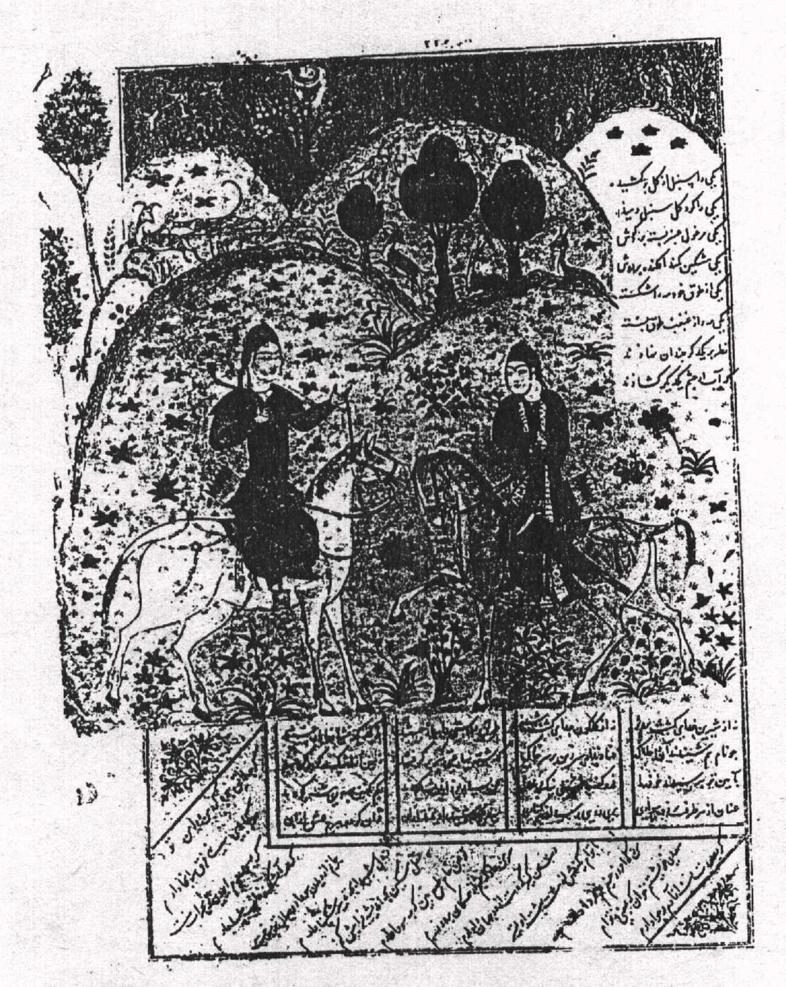
(١) زينب تشير إلى محبوبها زايد من شرفة المنزل توضيح مخطوط خمسة نظامى ١٥٩٠/١٥٨٥م عن أسوك كومار داس عن فجر التصاوير المغولية



(٢) نوشابه مع رسم لالإسكندر الاكبر - خمسة نظامى
الميراث الفارسى ٤٤٥/١٤٤٦ - طوبقا بوسراى



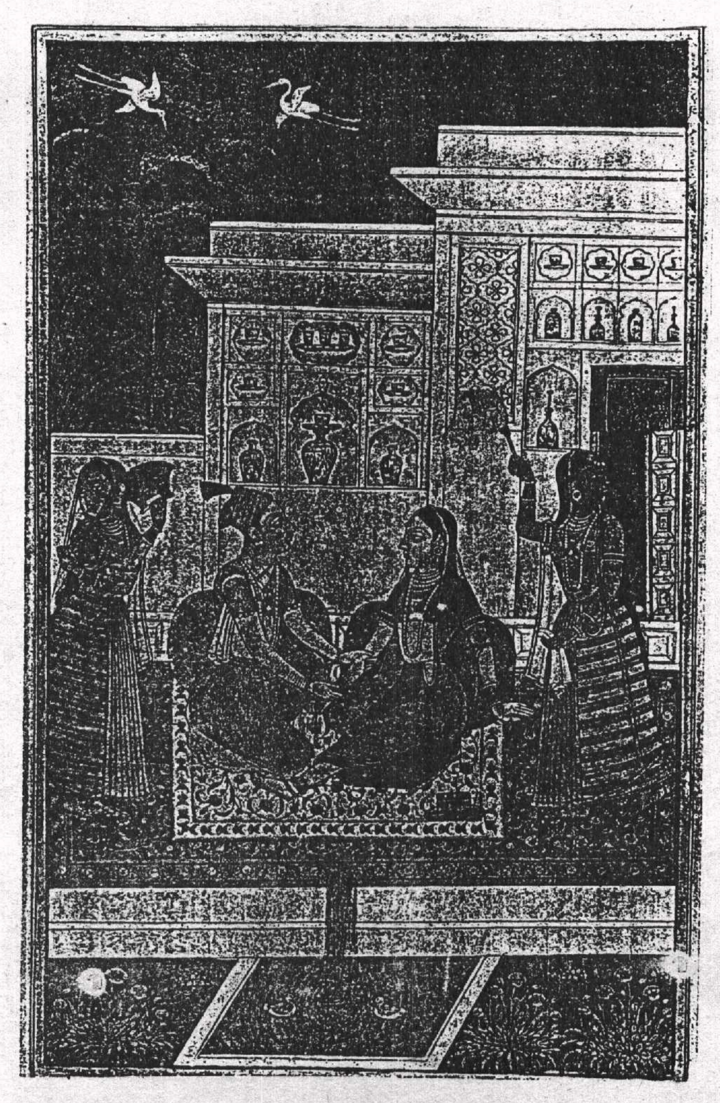
(٣) هماى فى البلاط الصينى - خمسة خفاجى لكرمانى طراز جلائرى - بغداد ١٣٩٦م



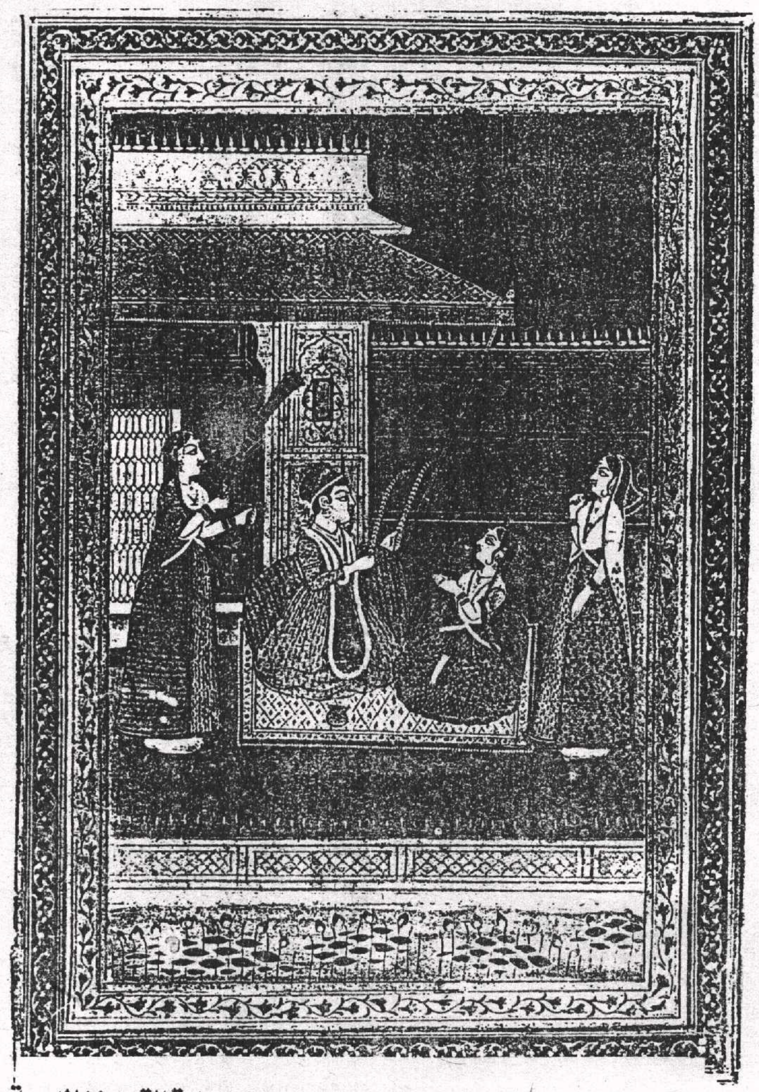
(٤) لقاء بين خسرو وشرين - شيراز ١٤٢٠م متحف المقتنيات الإسلامية - برلين.



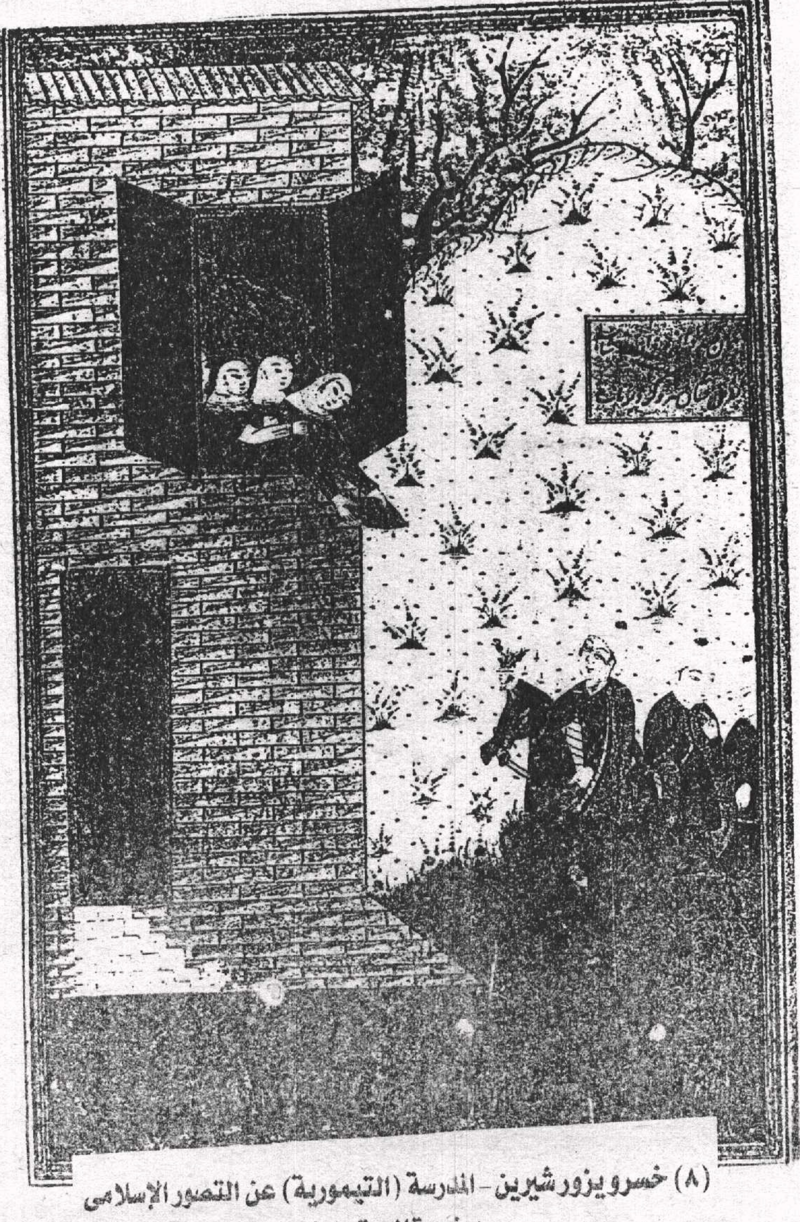
(٥) ساسى تندب فقدان حبيبها بنون حوالى ١٧٥٠م المتحف القومى "نيودلهى"
عن التصاوير جولار موهندار سينغ



(٢٦ اثنان من الأمراء الأحبة ١٧٥٠م المدرسة المغولية الهندية عن تصاوير امبراطورية مغولية لجورج برازار بنيويورك)



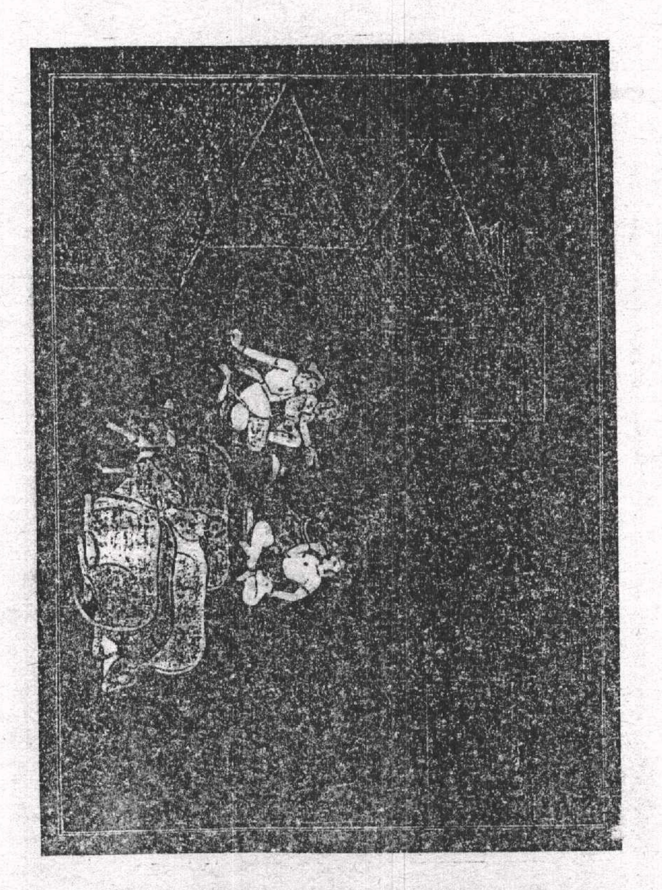
(٧) شاب وسيم يقدم فرع من عصاه الزهور لمحبوبته بداية القرن ١٩ المدرسة المغولية - عن جورج برازار.



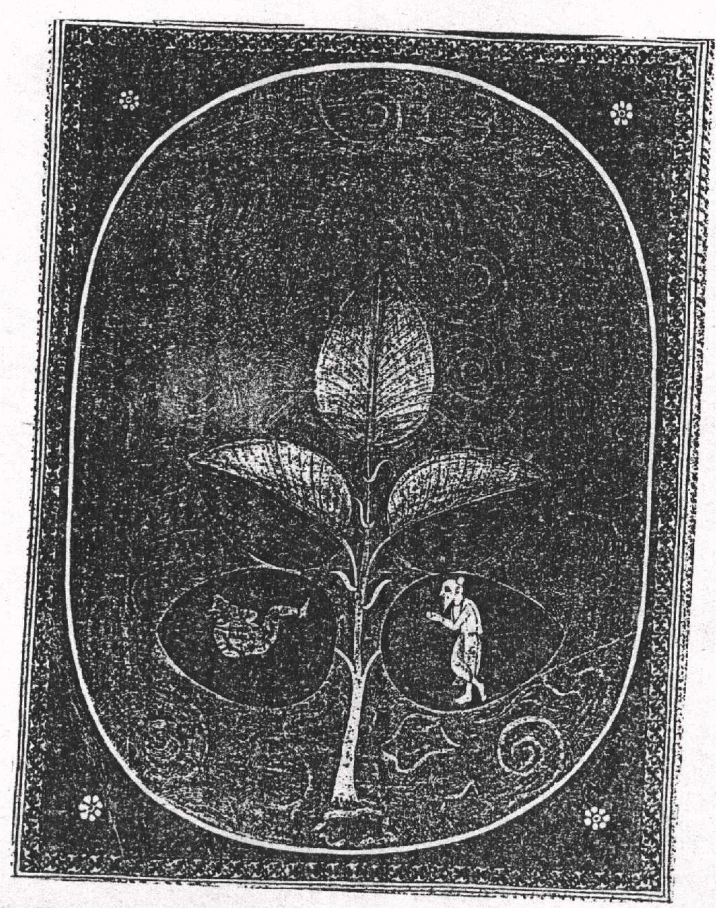
(٨) خسرو يزور شيرين - المدرسة (التيمورية) عن التصور الإسلامى
ديفيد تالبوت رايز



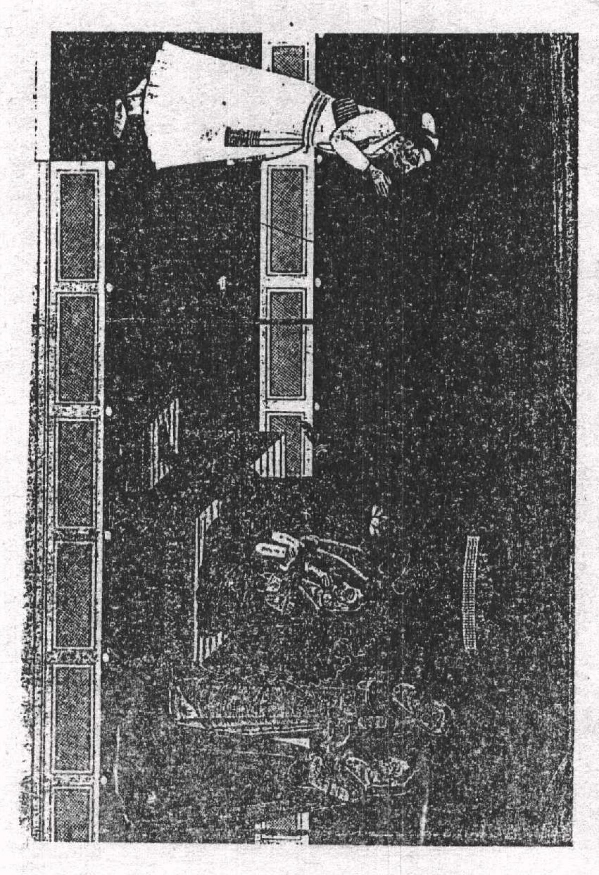
(٩) لقاء فى الحديقة - المدرسة المغولية - متحف الفن فى فلادلفيا
عن تصاوير مظهر البهجة والفرح لكرامريش



(١٠) كرسنا وبالارما يتناولان وجبة الأرز المسلوق باللبن مدرسة بازوهلى ١٧٦٩
عن (كرامريش)



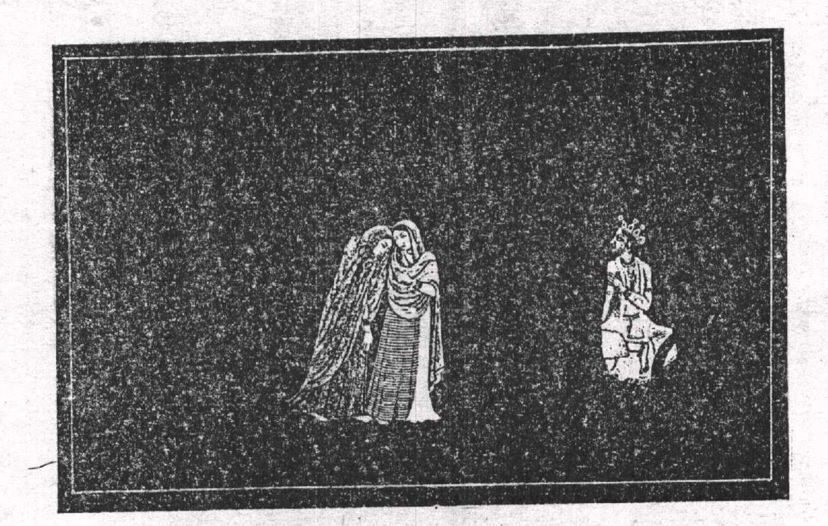
(١١) رؤية للحكيم ماركانديا - مدرسة جولر ١٧٩٠م المدرسة الهندية
عن (كرامريش)



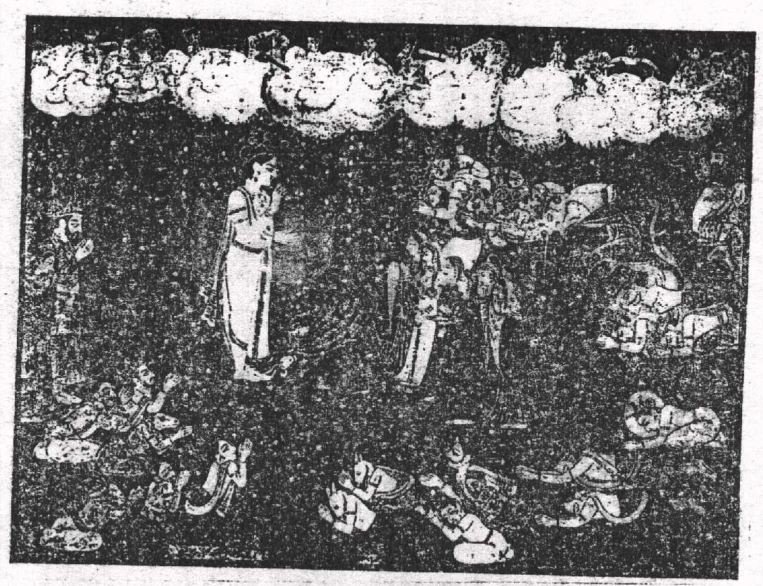
(١٢) التحية تقدم لكل من رادها وكرسنا - مدرسة جولز ١٧٥٠م



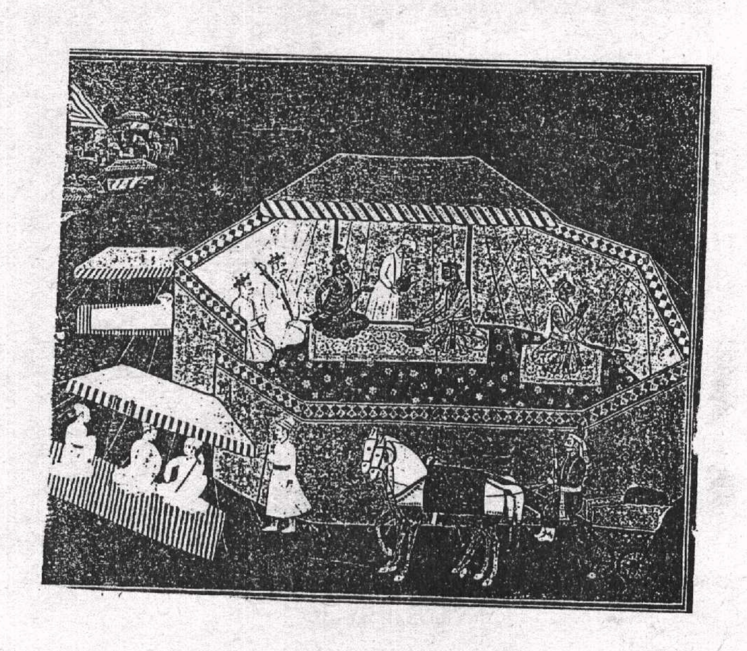
(١٣) كارتيكيا تحادث سيفا وبارفاتى فى جبال الهيمالايا المتجمدة مدرسة جولر ١٨٠٠/١٨٢٠م المدرسة الهندية .



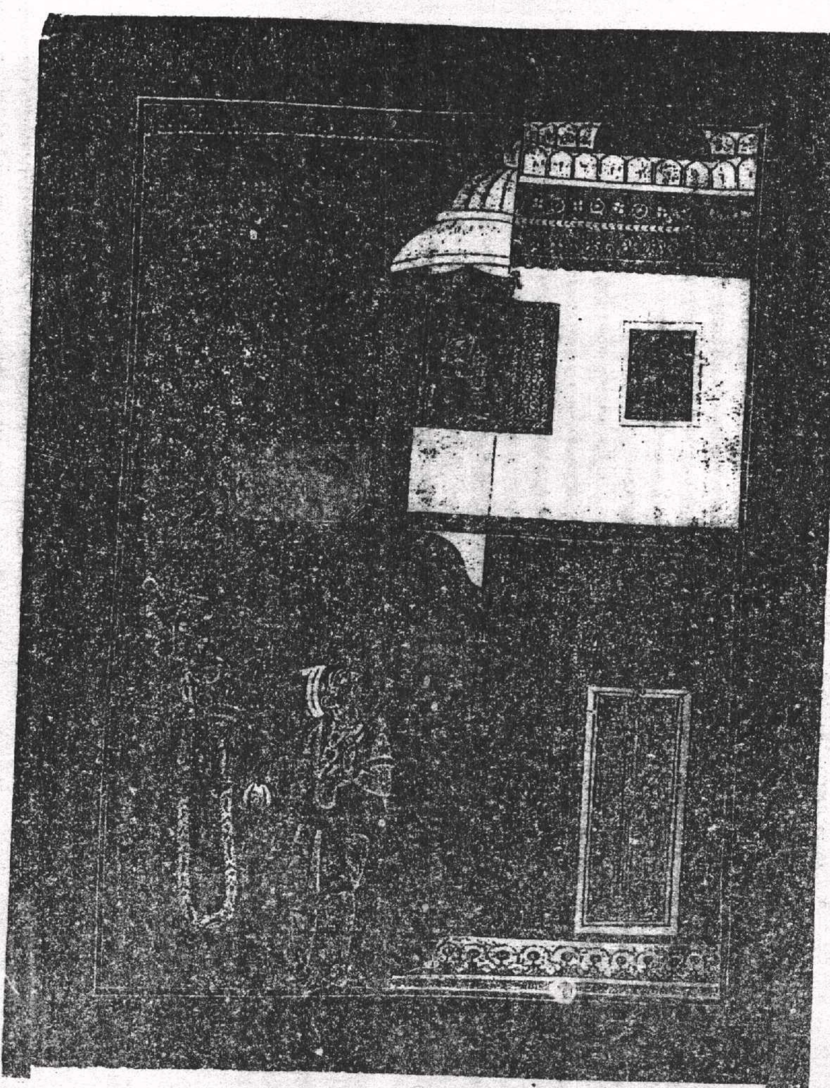
(١٤) رادها تذهب لمقابلة كرسنا - مدرسة كانجرا ١٧٨٠ المدرسة الهندية



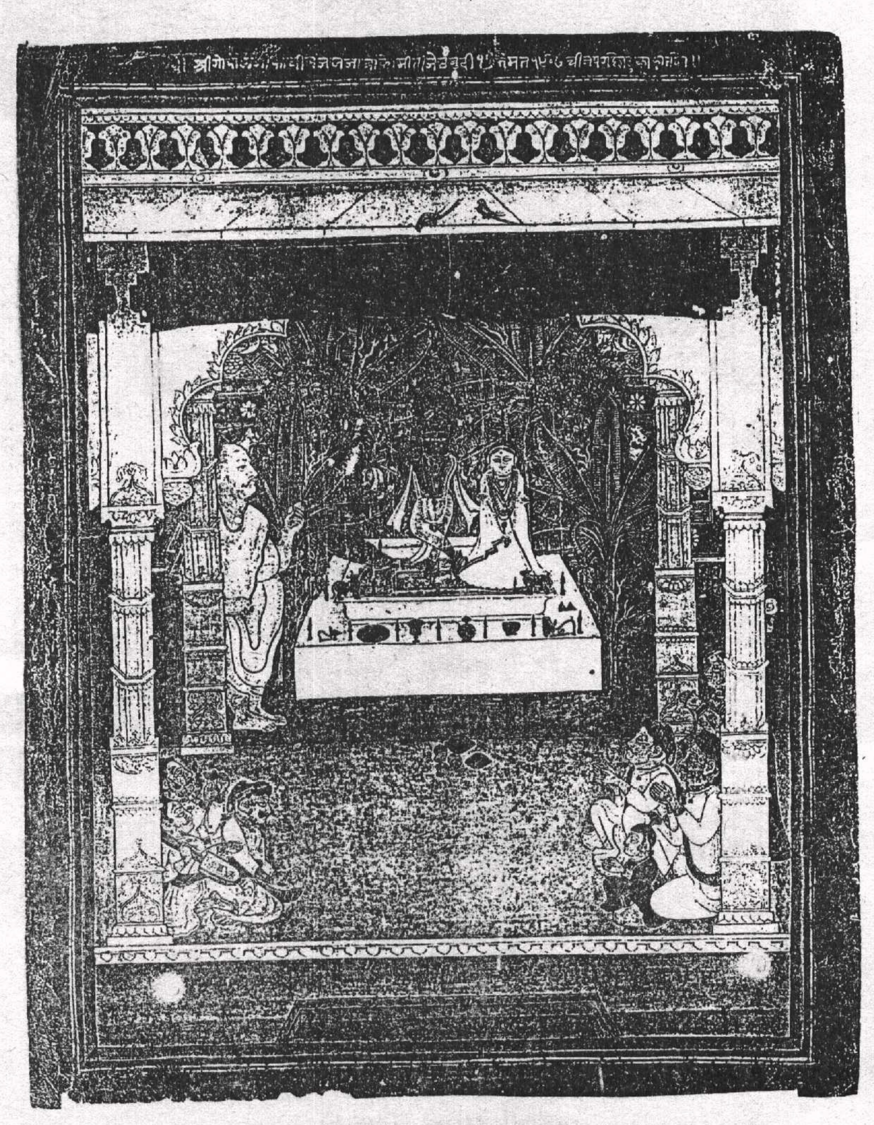
(١٥) بارفاتى ترحب بسيفا وهو فى أوج تألقه - مدرسة كانجرا ١٨١٥/١٨٢٠م
المدرسة الهندية



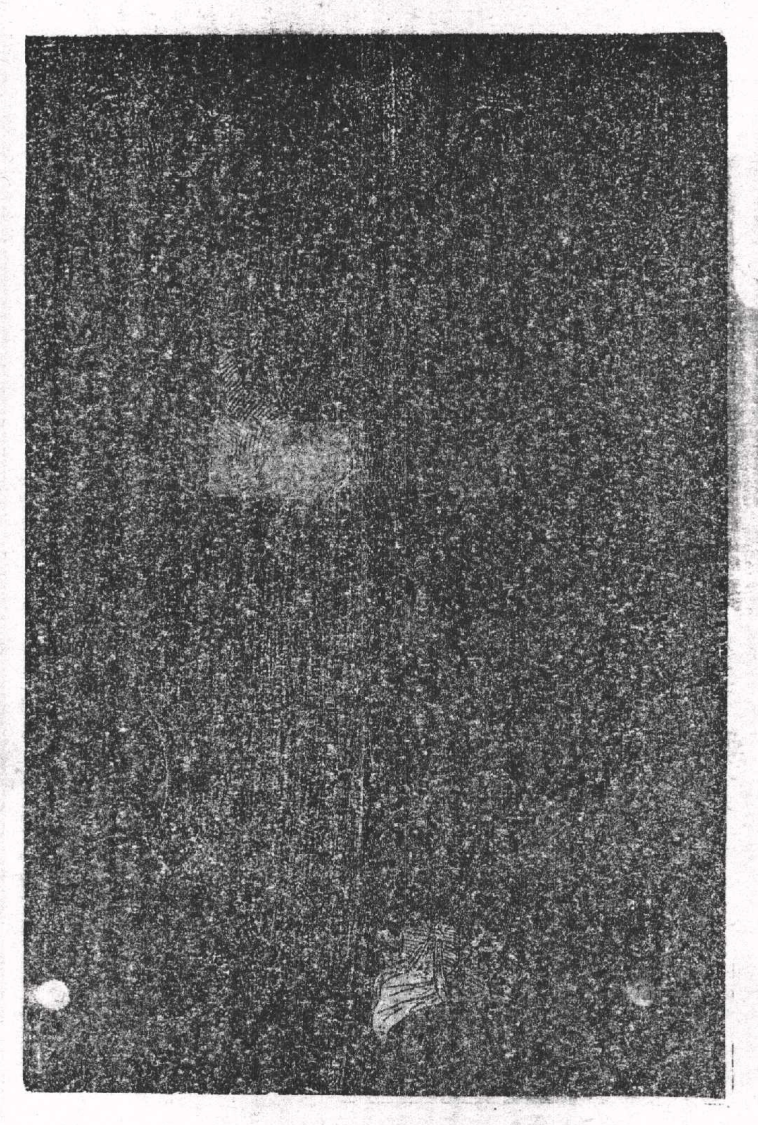
(١٦) أرجونا يختار اللورد كرسنا قائدا لمعجلته ١٨٠٠م كانجرا المدرسة الهندية



(١٧) كريشرا يعزف ويغنى لسيدة - عن بساتين المتعة العقلية المدرسة الهندية
متحف الفن فى لوس أنجلوس



(١٨) الاحتفال فى رياضة الماء لكل من رادها وكرسنا - المدرسة الهندية



(١٩) سوهنى تسبح لتقابل ماهنول - ١٧٥٠م المدرسة الهندية



(٢٠) كريسنا ورادها فى الشرفة - صفحة من سلسلة بارمازا المدرسة الهندية



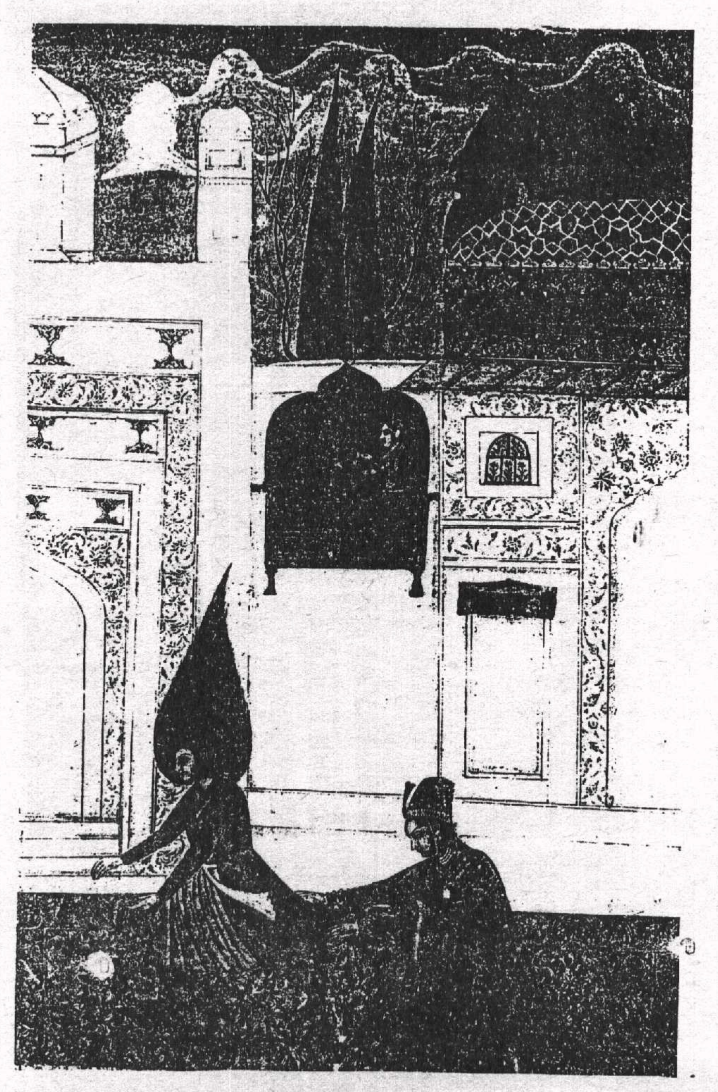
(٢١) إلقاء يوسف فى البئر - من كتاب يوسف وزليخا ١٧٤٠/١٧٥٠م المدرسة الفارسية (فوراه .م. ثيتلى)



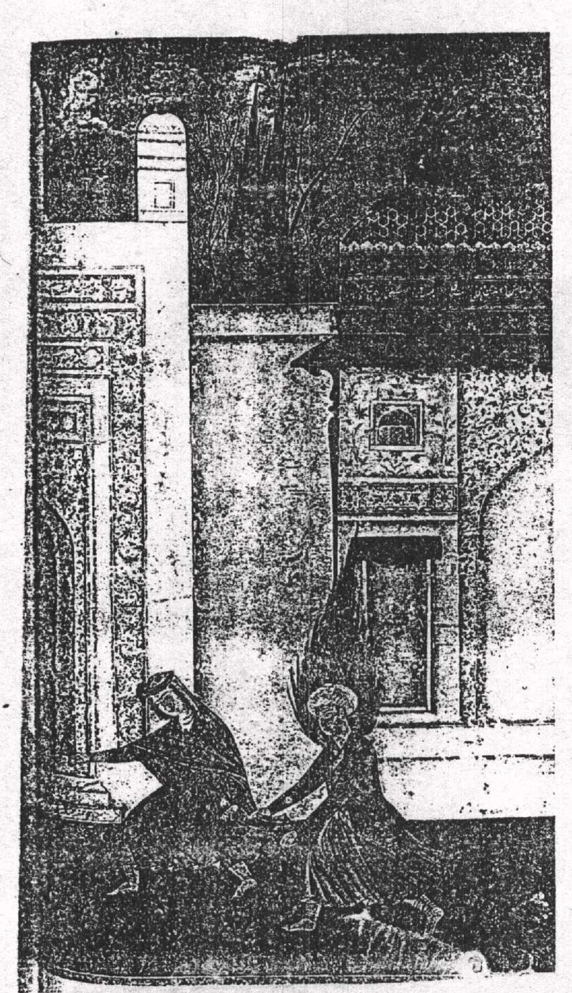
(٢٢) ملكة الجميلات وهى مضطربة من العشق ١٧٢٠/١٧٣٠م - المدرسة الهندية المغولية .



(٢٣) ملكة الجميلات وهى تقرا خطابا من الأمير - المدرسة الهندية المغولية - ١٧٢٠ - ١٧٣٠ م



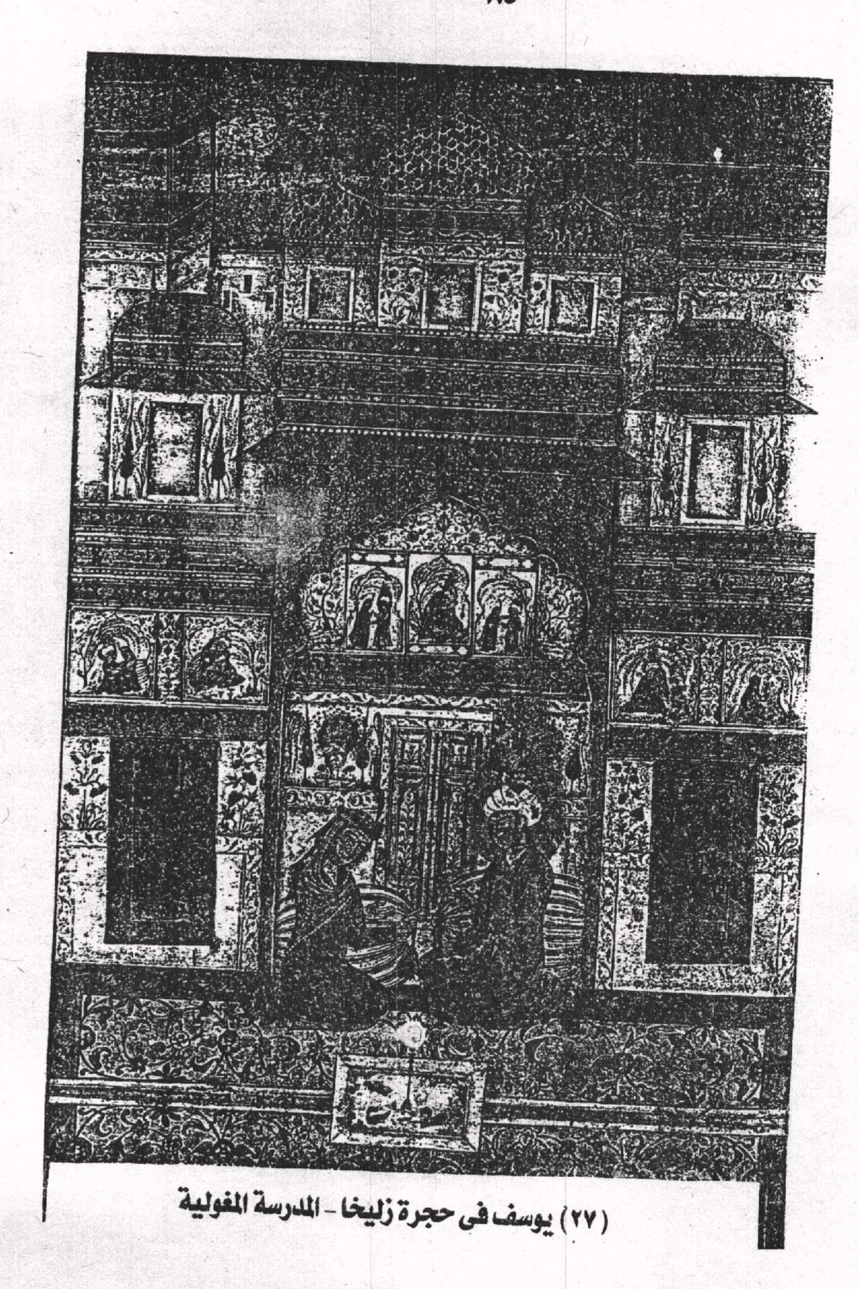
(٢٤) يوسف وزليخا - وهى تحاول أن تقد قميصه من دبر - المدرسة المغولية .



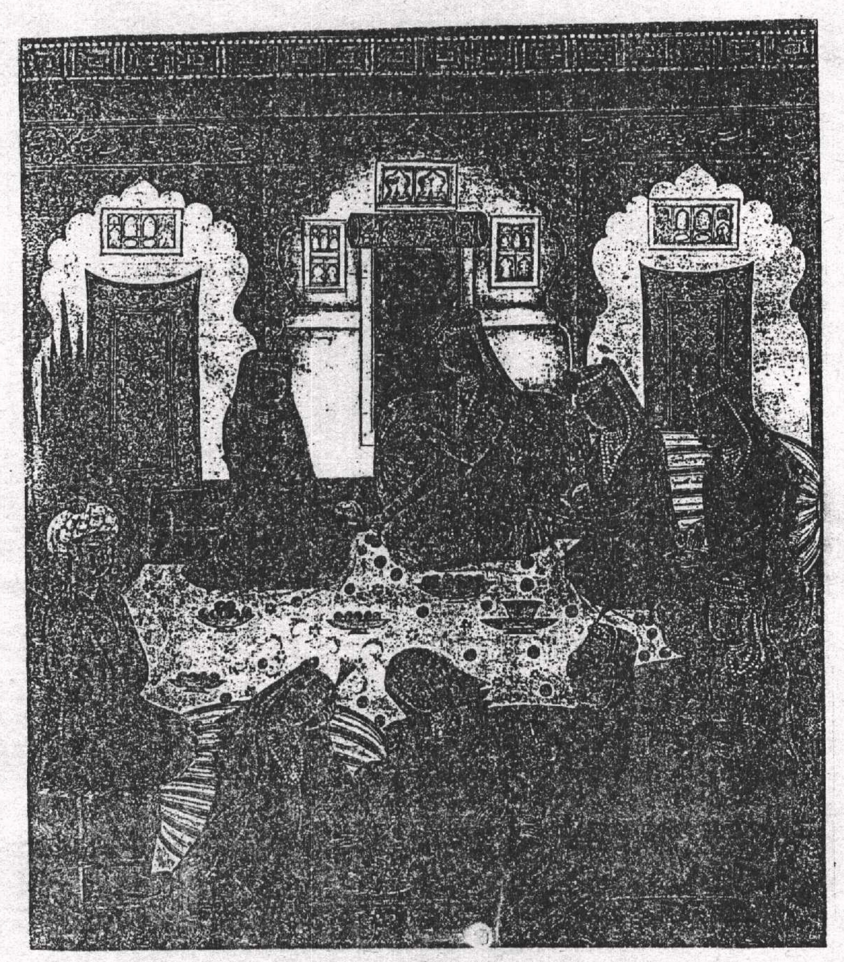
(٢٥) يوسف يطارد زليخا - للمصور محمد نادر السمرقندي - كشمير ١٦٥٠م



(٢٦) يوسف يستحم فى ماء النيل - المدرسة المغولية



(٢٧) يوسف فى حجرة زليخا - المدرسة المغولية



(٢٨) أصحاب زليخا وهم يقطعن أيديهن بعد رؤية جمال يوسف

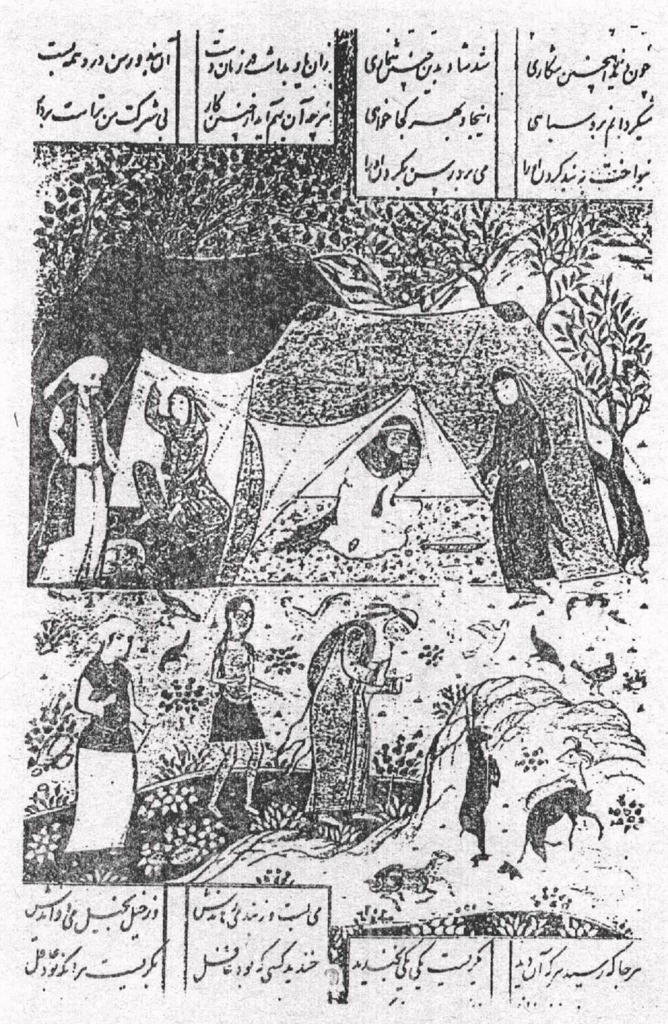


(٢٩) سليمان يجلس بلقيس على العرش (إيران ١٥٩٠ - ١٦٠٠)



(٣٠) المجنون يرمي نفسه تحت أقدام أمه إيران حوالي ١٤٧٠ من نسخة من الخمسة لإلياس بن يوسف نظامي

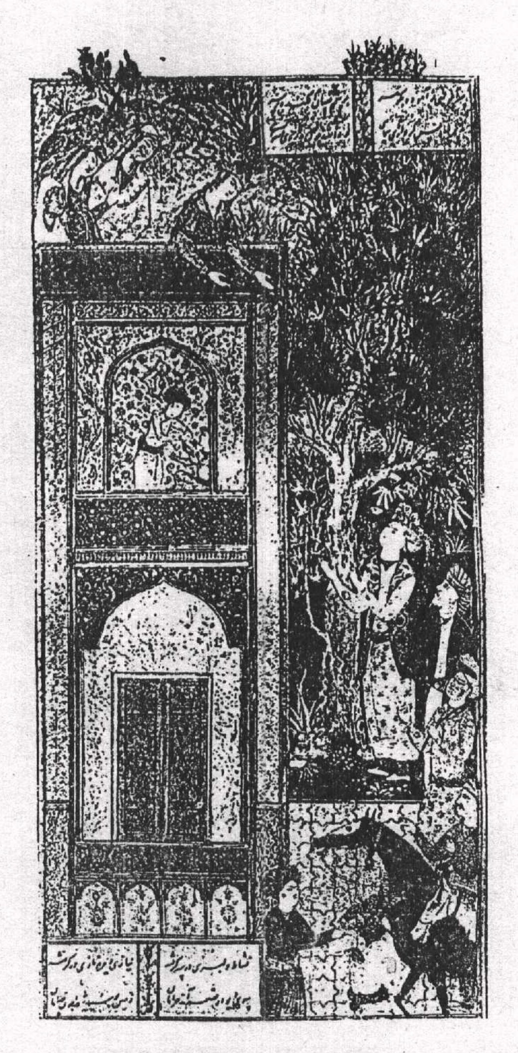




(٣٢) المجنون يلبس السلسلة الذهبية حول رقبته ويصل إلى معسكر ليلى
ويمكننا أن نرى ليلى هنا فى خيمتها
(حب ليلى والجنون للنظامى حوالى ١٦٢٤)



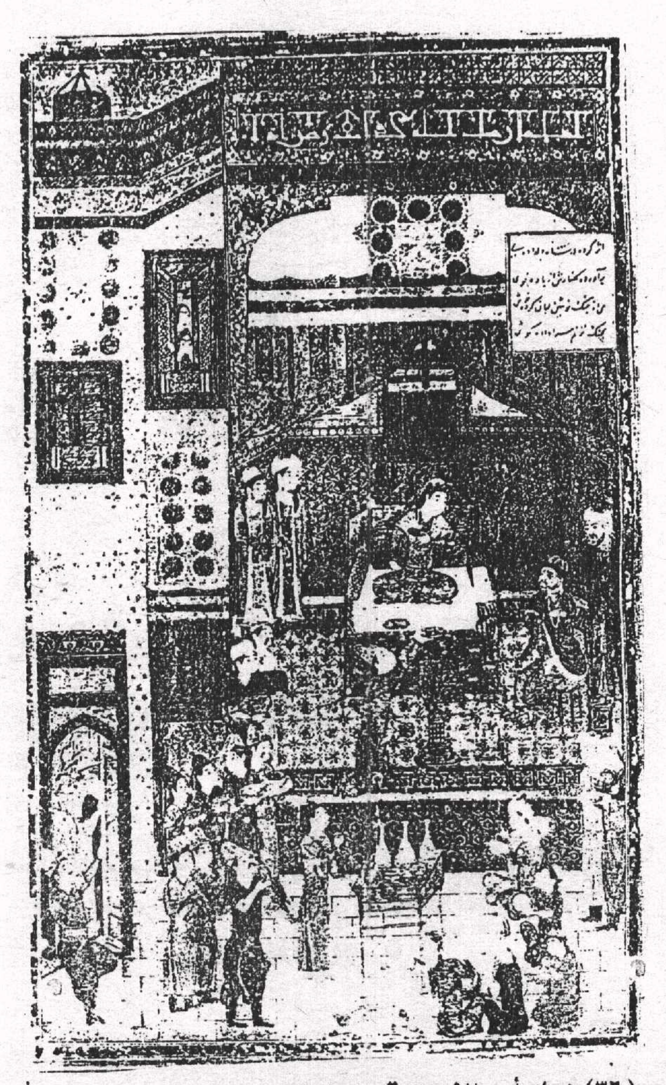
(٣٣) شيرين تصل إلى الخيمة التى ينام فيها خسرو ابرويز وتحيط به حاشيته
(قصة حب خسرو وسيرين للنظامى ، أصفهان حوالى ١٦٢٤)



(٣٤) خسرو الملك الساسانى للفرس يصل إلى القلعة حيث يجد حبيبته شيرين أميرة أرمينيا فى ملجأها تفتح له ذراعيها (حب خسرو وشيرين للنظامى ١٦٢٤)



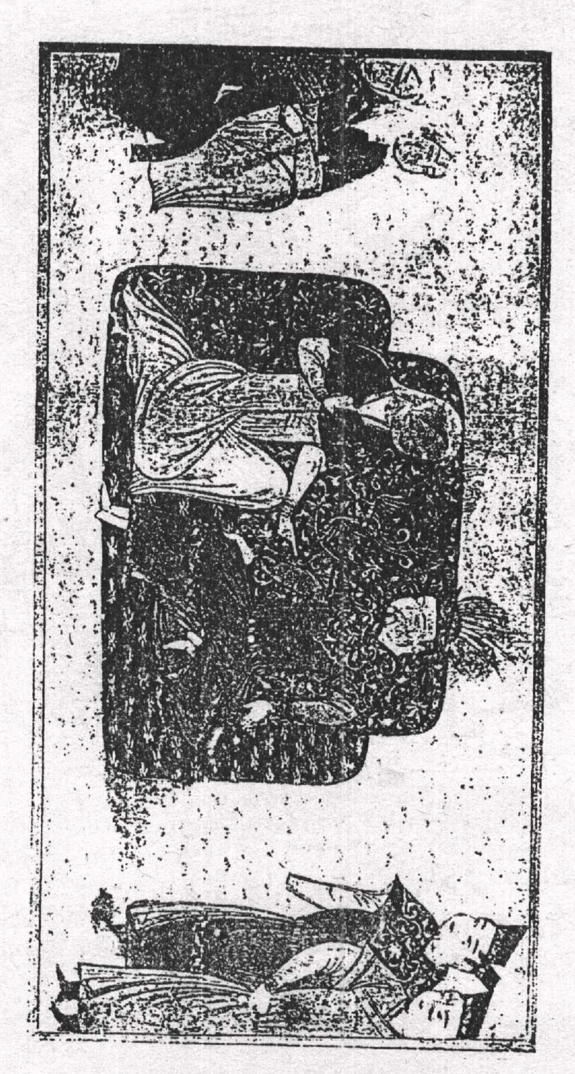
(٣٥) قيدافا ملكة أسبانيا تستقبل فى بلاطها الإسكندر الذى جاء إلى بلادها
متنكرا ، وهى تعطيه صورته التى رسمتها له سرا فى مصر
(كتاب الملوك للفردوس ١٤٣٠)



(٣٦) هماى أمير الفرس وقد استقبل فى بلاط الصين ، ويقع فى حب بنت الإمبراطور هومايون حيث رآها من أحد شبابيك الحرملك (كتاب هوماى وهومايون لخادجو كرمانى ، بغداد ١٣٩٦)



(٣٧) أرجون ، الأمير المغولى فى الفرس يجلس على العرش ومعه إحدى زوجاته ، أمير آخر بالقرب من العرش وأمامه خمسة أمراء مغول آخرين (كتاب تاريخ المغول) لرشيد الدين حوالى ١٣١٠.



(٣٨) يوسكاى باهور والد جانكيز خان وزوجته ، أولون أكى

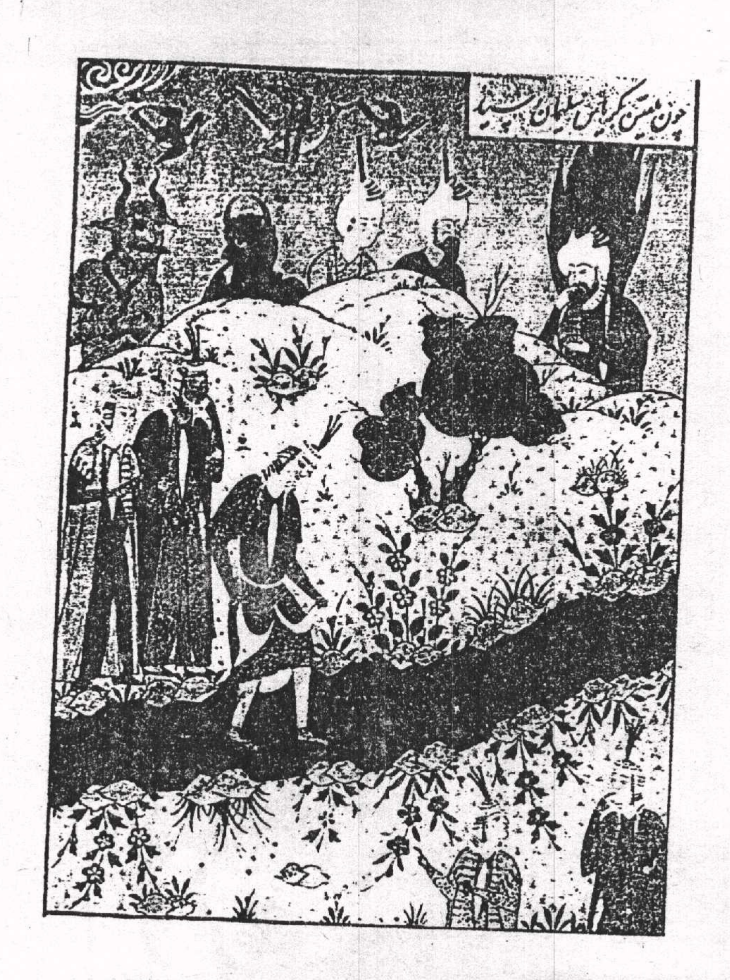


(٣٩) الأشخاص المهتمون بالجرائم والجنح وقد أحضروا أمام القاضى (١٢٢٠)

التصوير فى الإسلام دراسة لأماكن فه التصوير فى الحضارة الإسلامية للسيد
توماس دابليو ألرنوكد



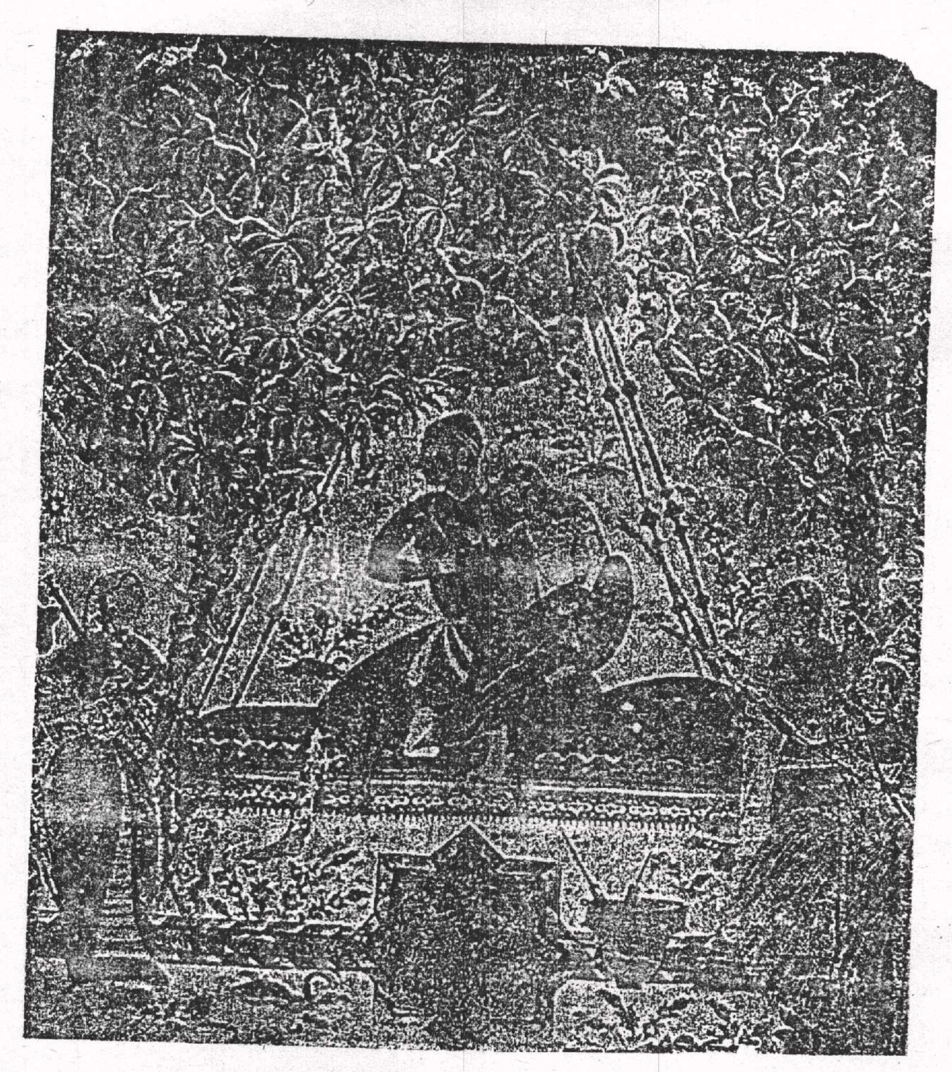
(٤٠) النبى الياس ينقذ الأمير نور الدهر الذى ألقى به فى البحر



(٤١) سيد سليمان وملكة سبأ



(٤٢) خسرو فى قلعة شيرين   تاريخ التصوير الهندى - المغولى



(٤٣) فاسنتا راجا ١٥٨٠ - ١٥٩٠ المتحف القومى نيودلهى - تاريخ التصوير الهندى المغولى



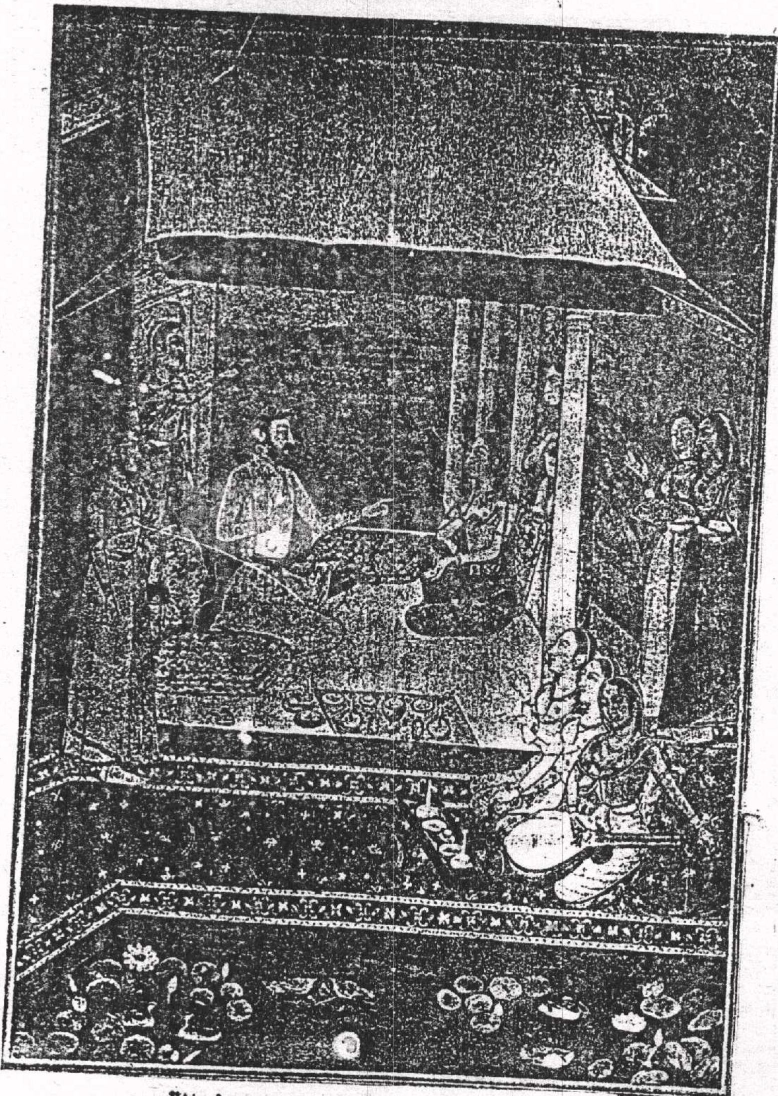
(٤٤) الأمير هاوكنج ١٦١٠ (مكتبة الهند)



(٤٥) سيستا القرن ١٧ (متحف الدولة ببرلين)



([illegible]) مشهد لسيراليو القرن ١٨



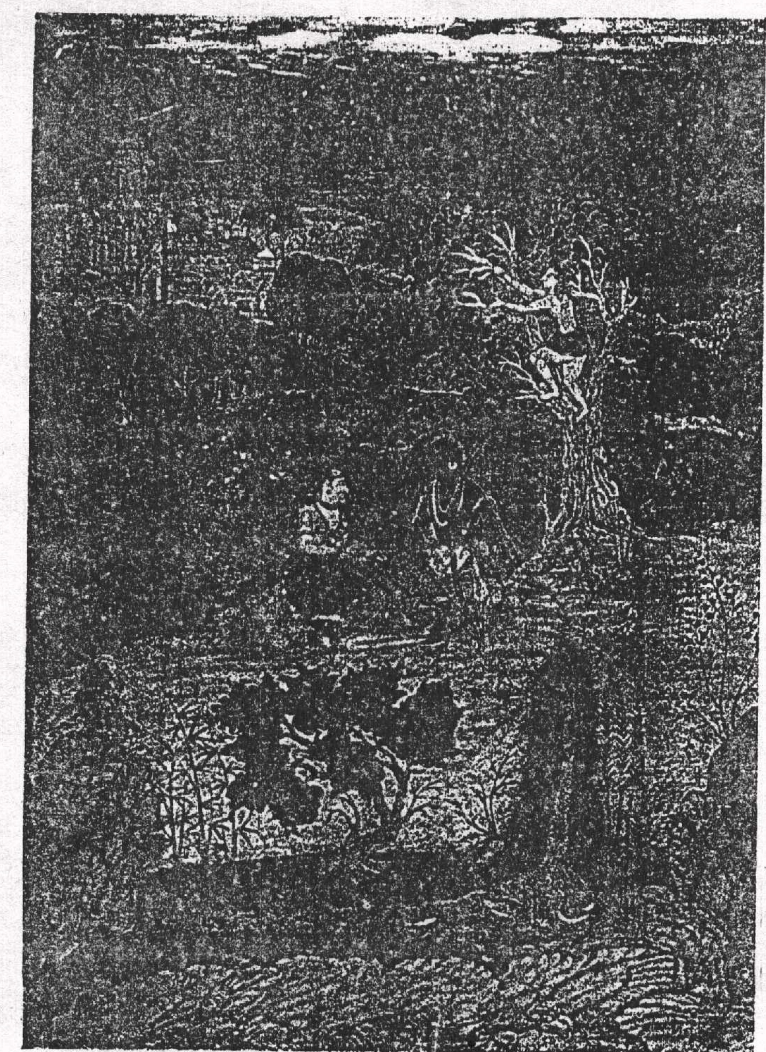
(٤٧) جلسة موسيقى - المغول ١٧٢٥ المتحف القومى



(٤٨) باز باحدود ورباماتی - المغول القرن ١٨ (مكتبة رامبو)



(٤٩) الأحبة في بستان ، فايزاباد القرن ١٨ متحف بارودا



(٥٠) راما وسيتا في الغابات - مغول - بداية القرن ١٧ ، المتحف القومي نيودلهي



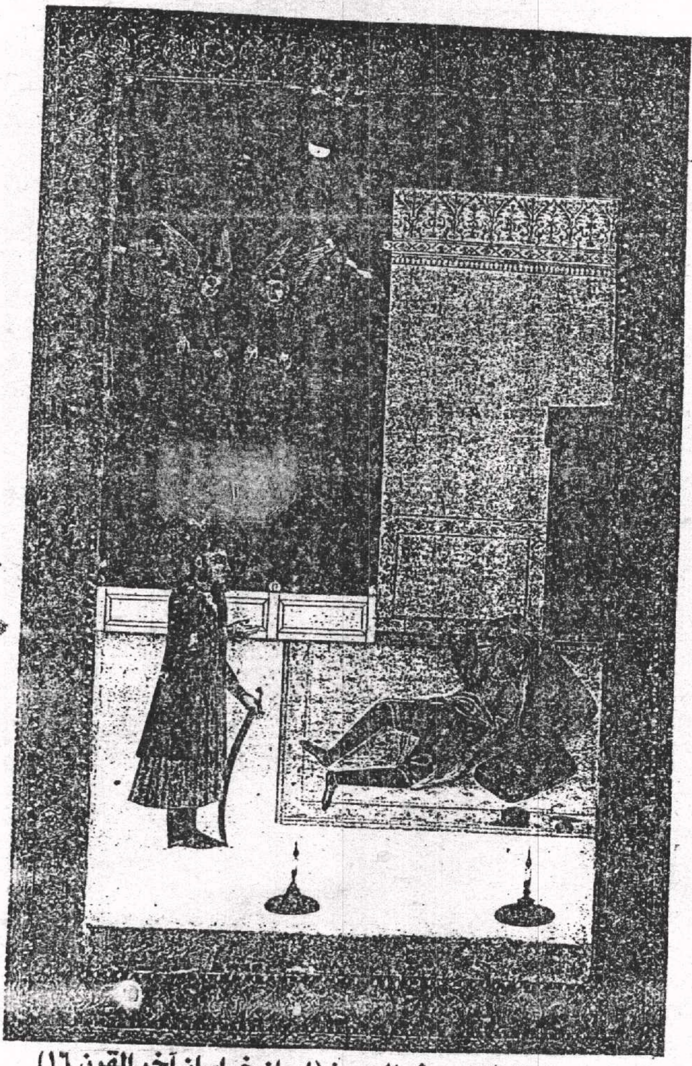
(٥١) بارسفاندا واندرا القرن الرابع



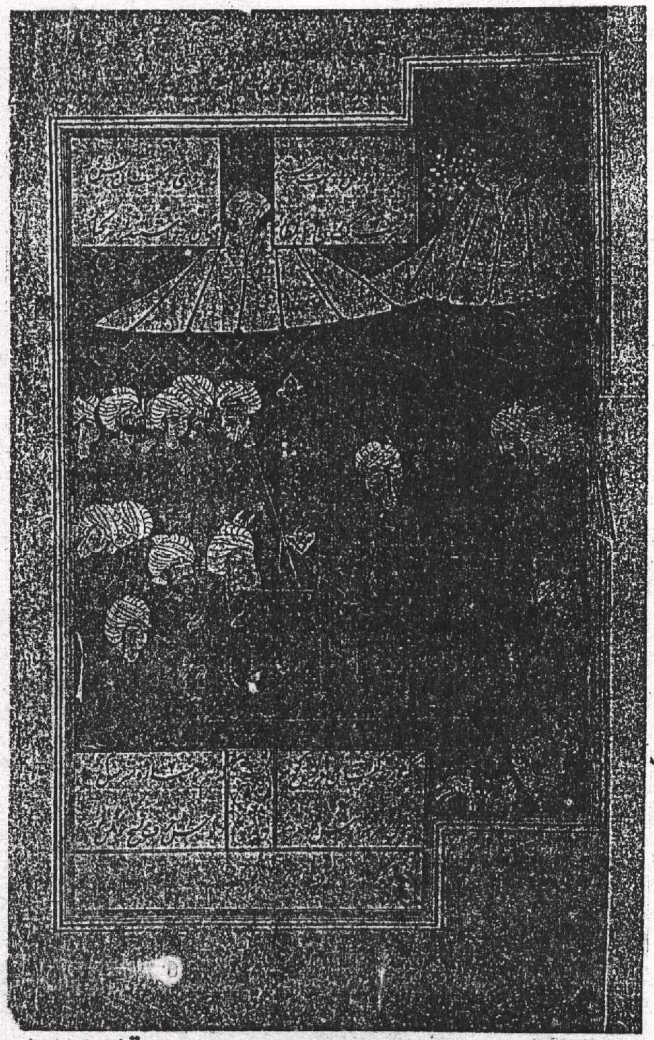
(٥٢) كريشنا وردها القرن ١٨

قصص الكتاب المقدس فى التصوير الإسلامى

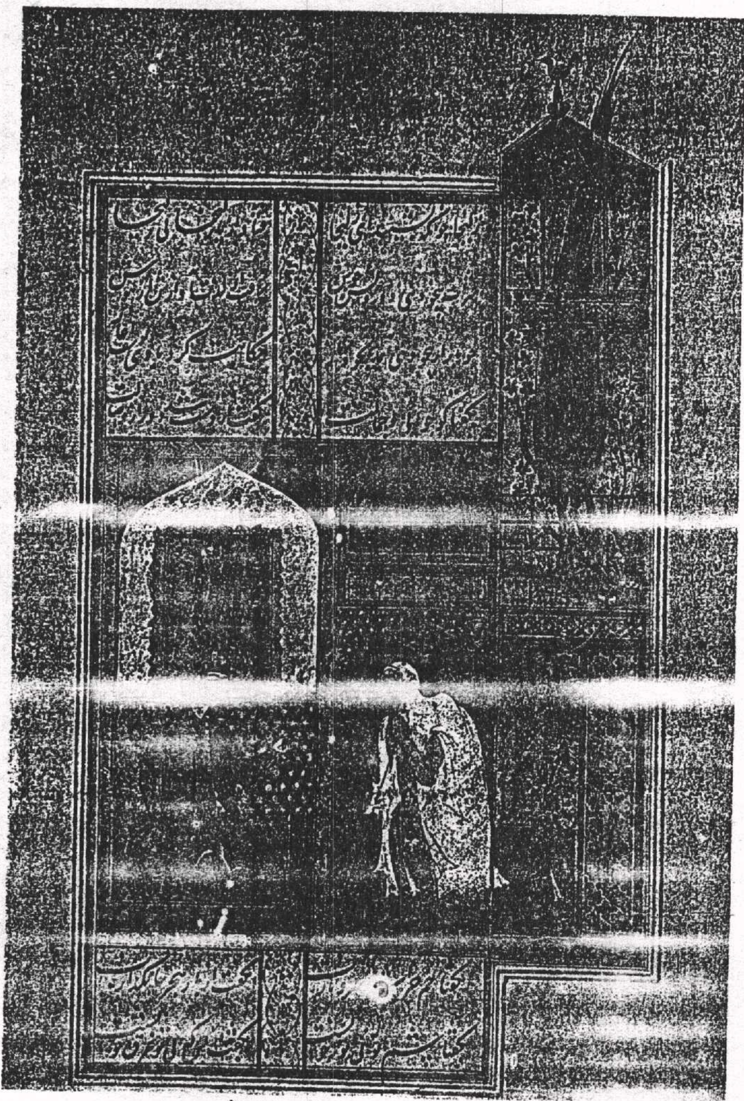
Na'ama brosh واشل ملستين



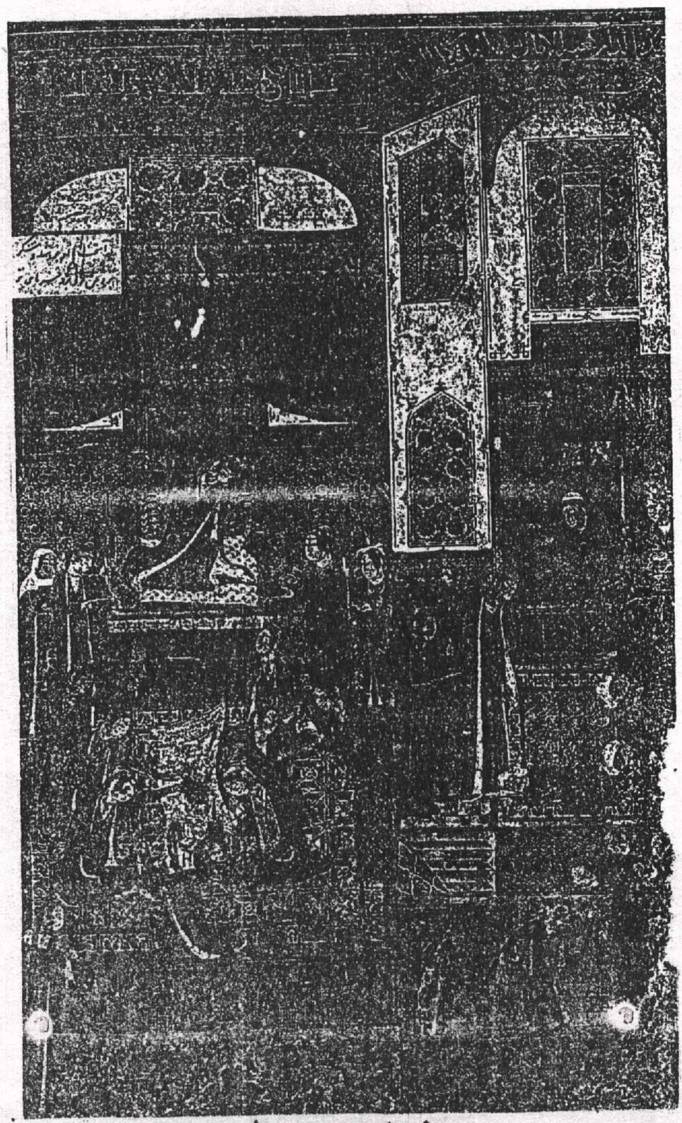
(٥٣) زليخا تنظر ليوسف السجين (إيران خراسان آخر القرن ١٦)



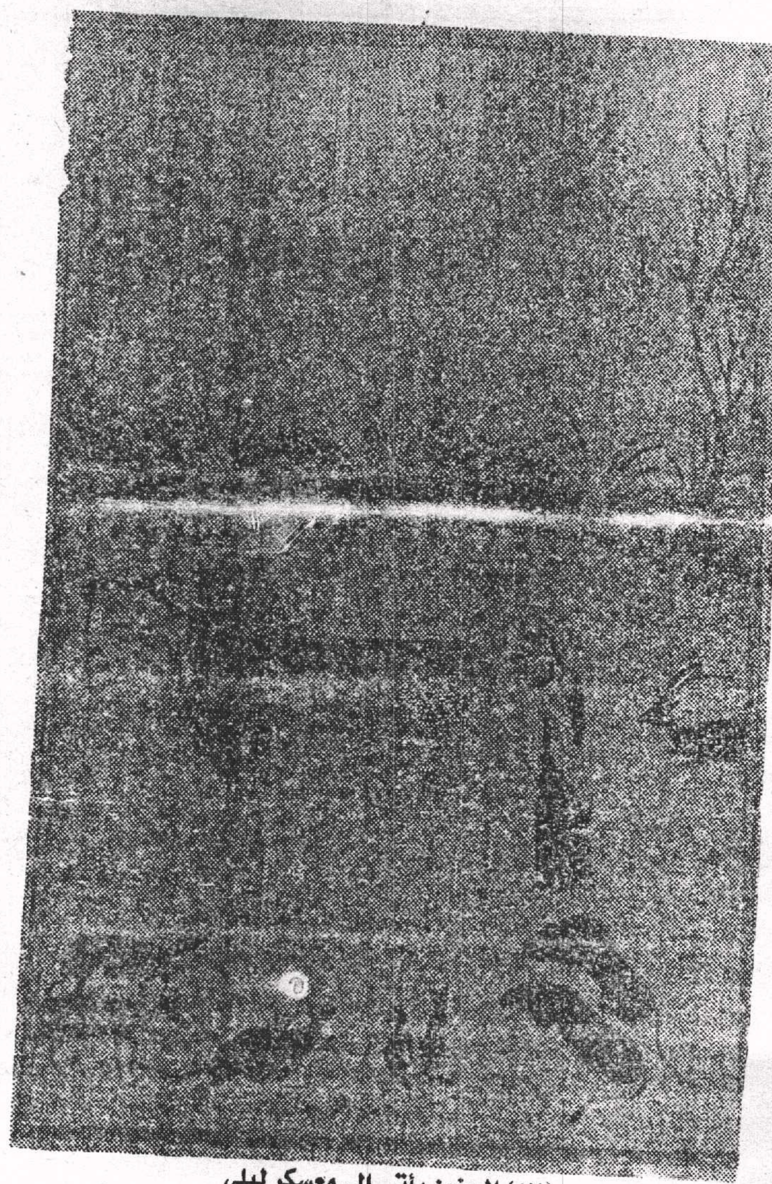
(٥٤) تنصيب يوسف الوزير الأعظم فى مصر - إيران قزوين ١٥٨١



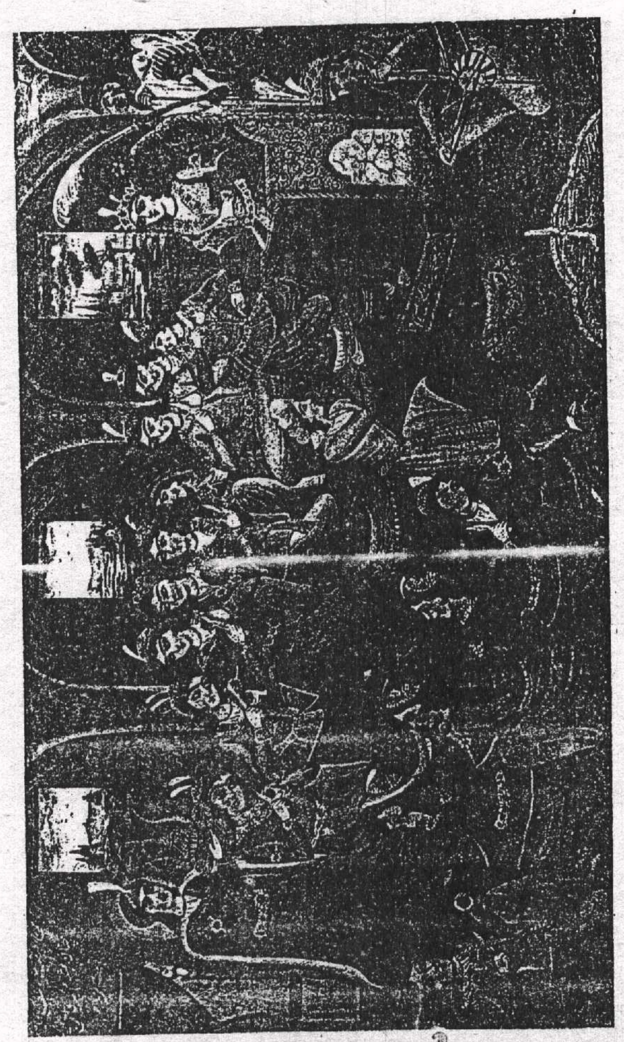
(٥٥) زليخا العجوز تصل لقصر يوسف



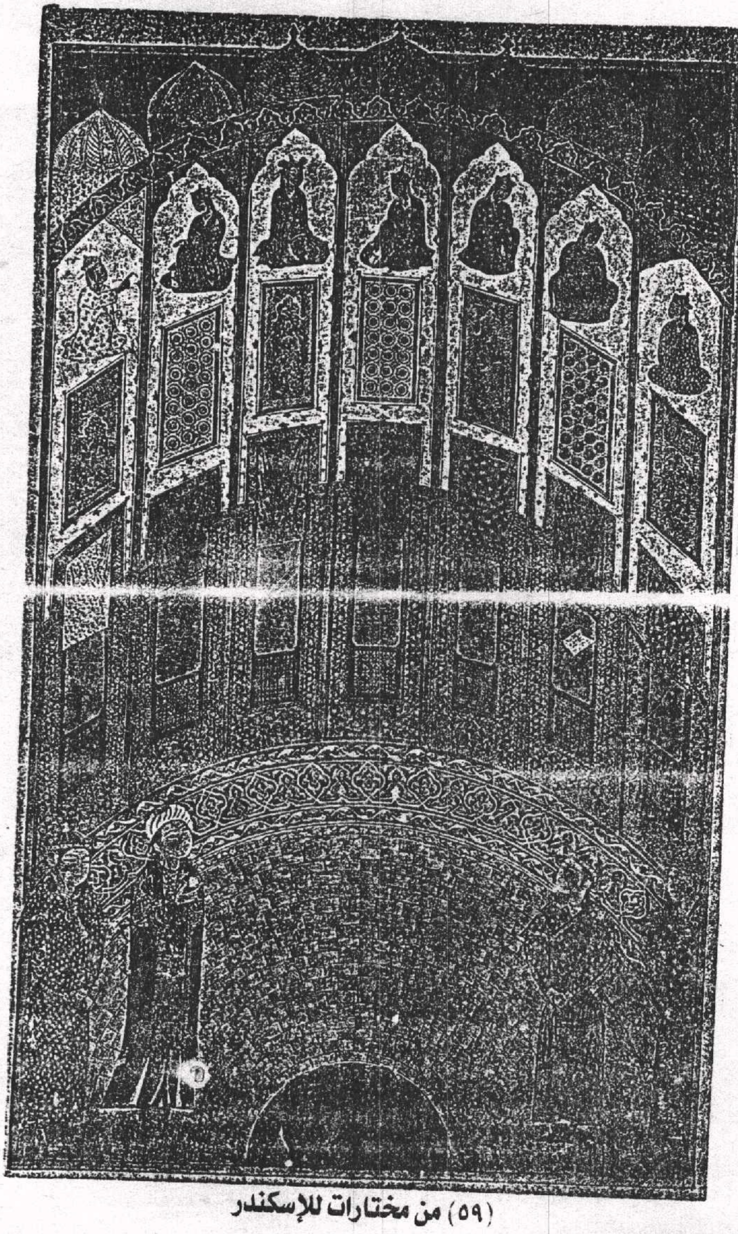
(٥٦) حفل زفاف الأمير هوماى والأميرة هومايون



(٥٧) المجنون يأتي إلى معسكر ليلى



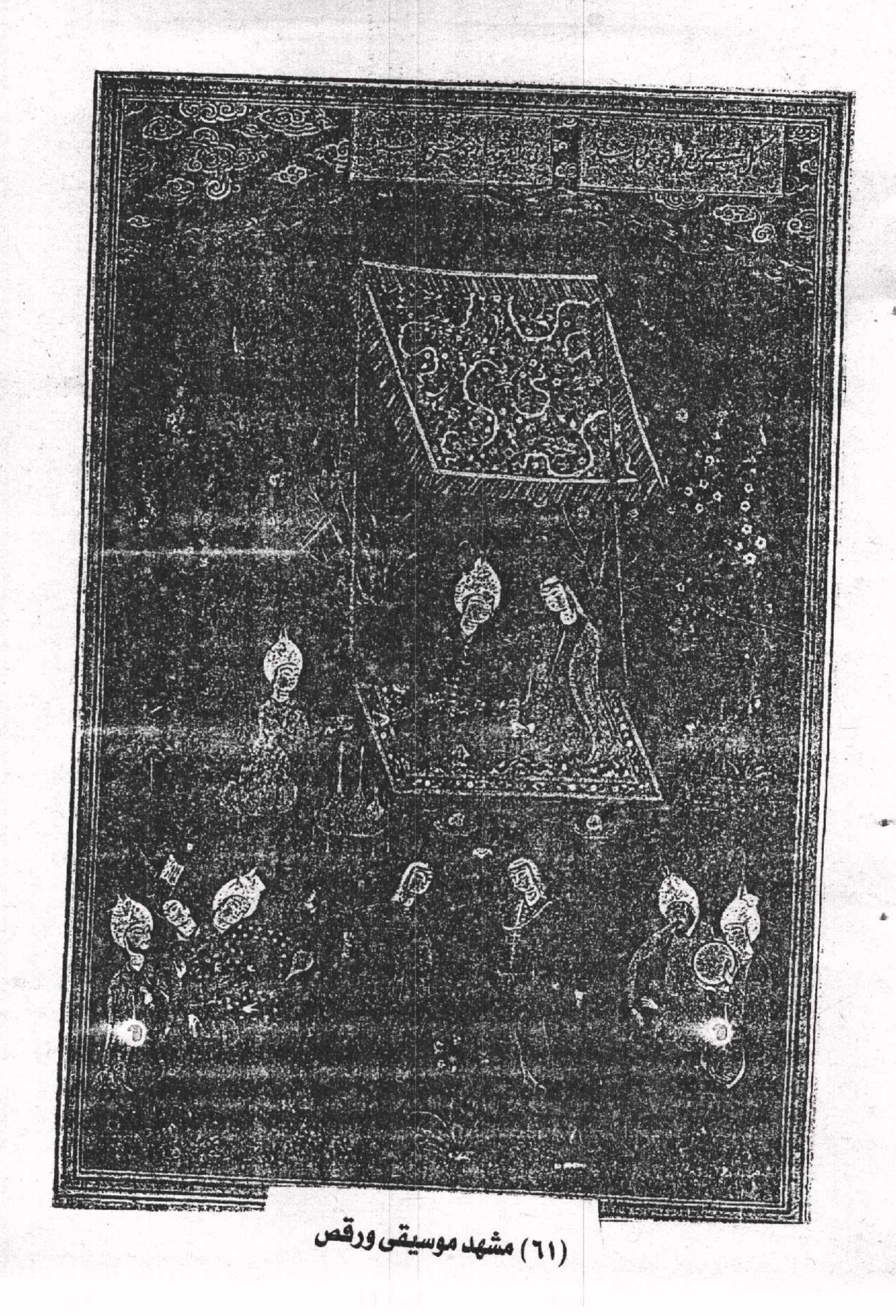
(٥٨) البلاط السلطانى النسائى فى مصر ماخوذ بجمال يوسف إيران ق ١٩



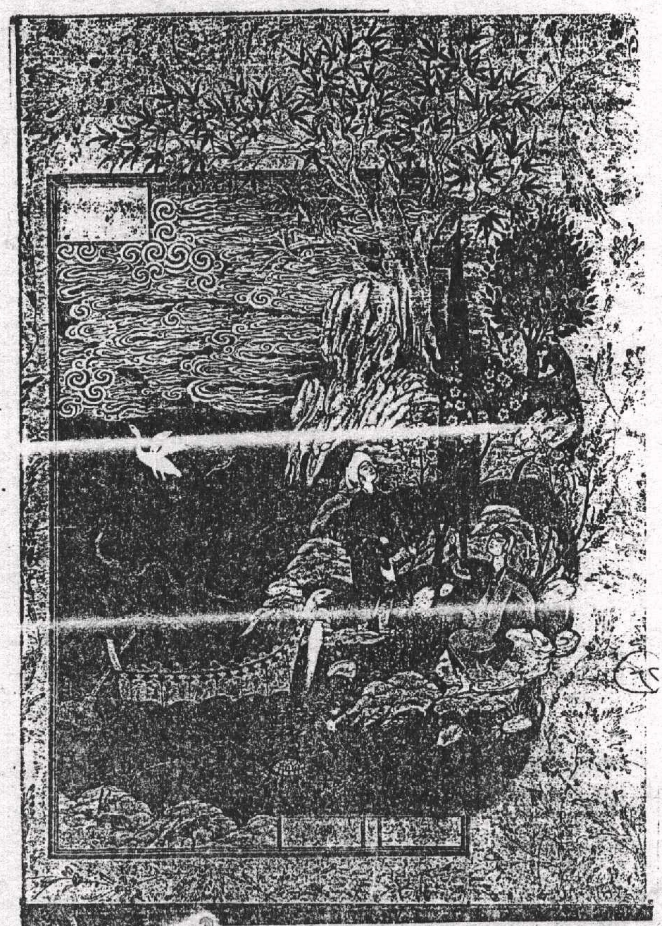
(٥٩) من مختارات للإسكندر



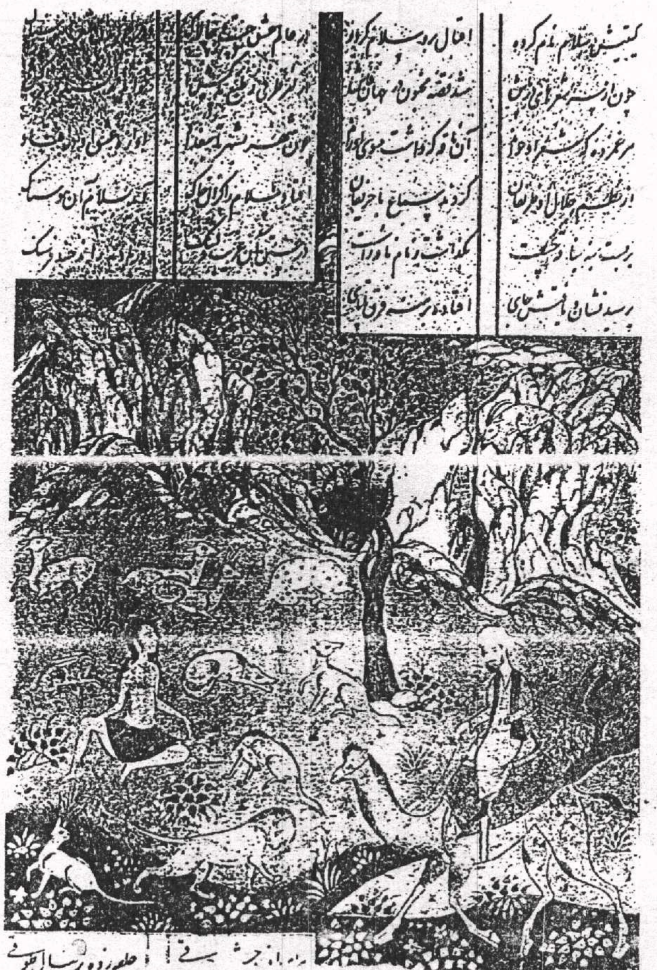
(٦٠) الاسكندر يلاحظ البنات الراقصات



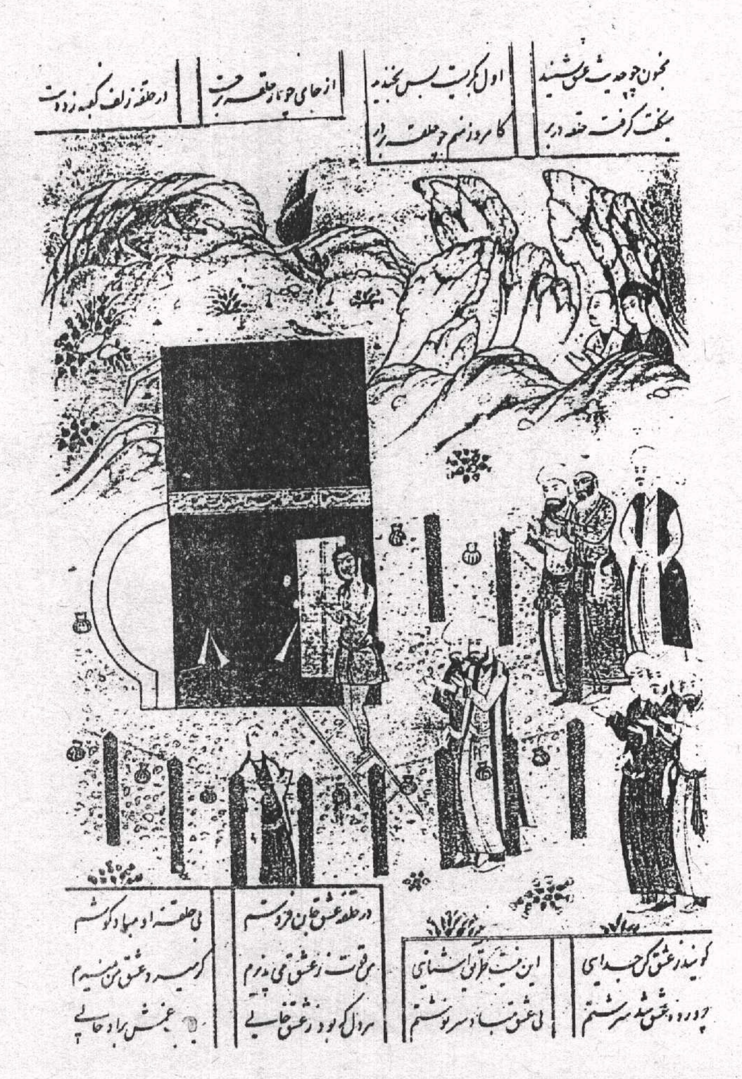
(٦١) مشهد موسيقى ورقص



(٦٢) سليمان وأبسال فى جزيرة تشبه الجنة لازون جان لزوجان شابان
لإنجاب ابن الملك لليونانى القديم

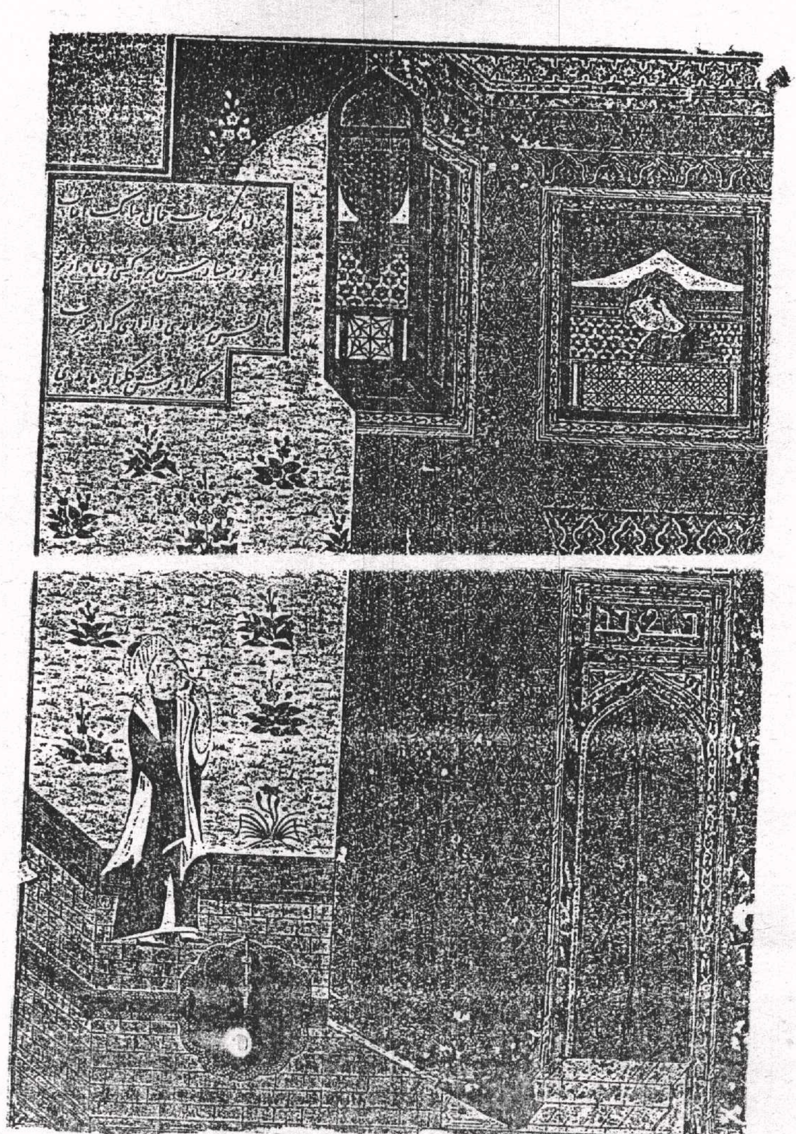


(٦٣) ابن سلام بغدادى ، زوج ليلى ، يصل إلى الصحراء والمجنون يبوح ليلى بحبه ومشاعره ، للنظامى أصفهان ١٦٢٤

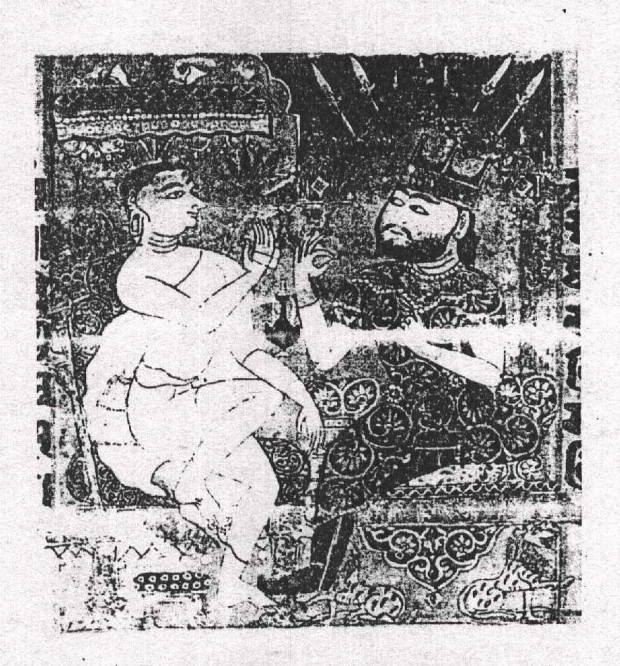


١٣٠

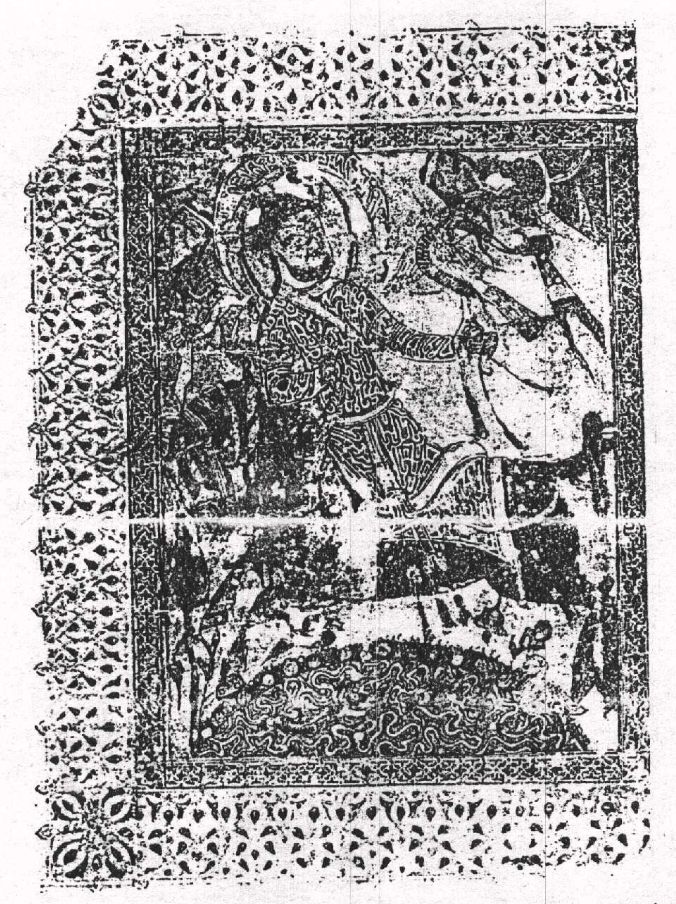
(٦٤) المجنون يحج إلى الحجر الأسود بالكعبة ، للنظامي أصفهان ١٦٢٤



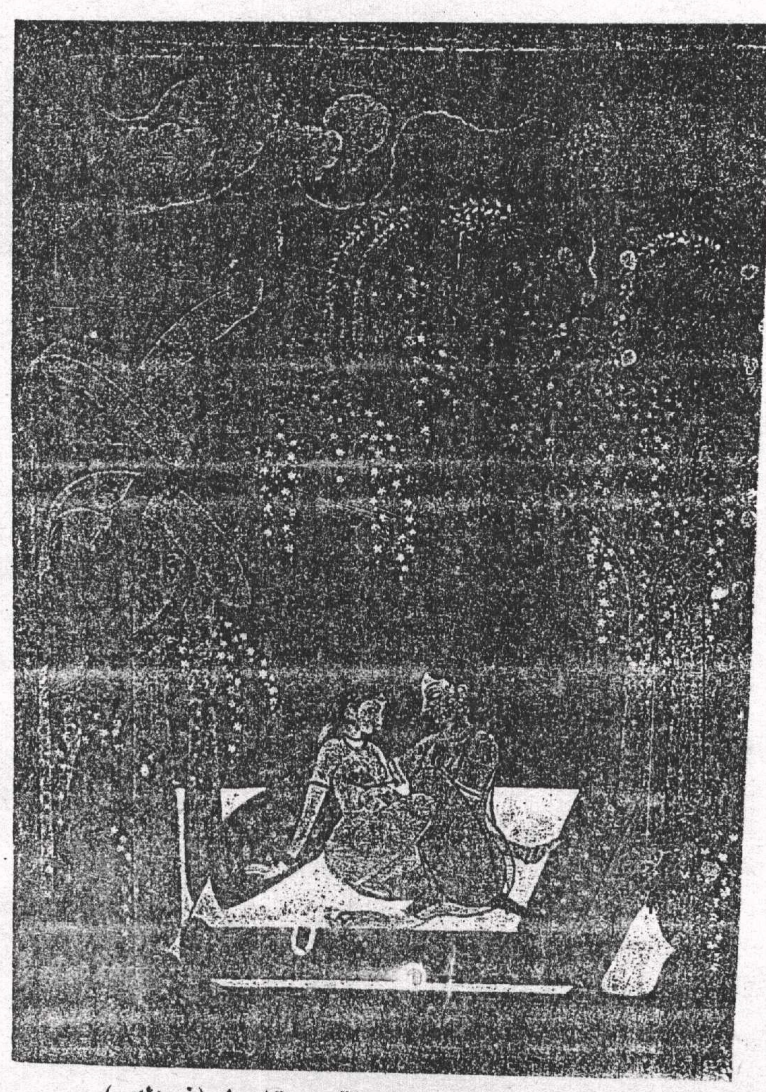
(٦٥) أدبيات بيسنقر ، مشهد لقصة حب



(٦٦) تصويره للمصور جامى من المدرسة المغولية



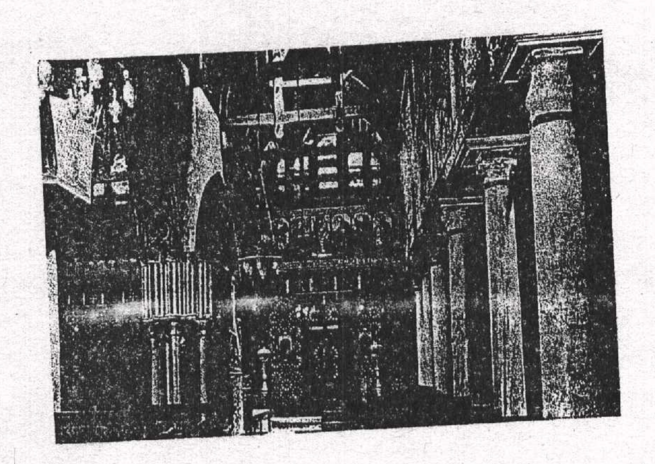
٦٧) الملك يصطاد مستعينا بصقر كتاب الأغانى لأبى الفرج الأصفهانى



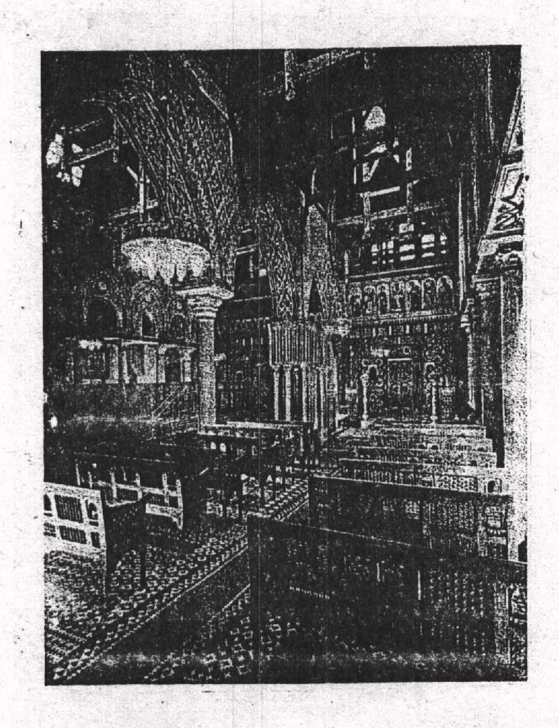
(٦٨) زوج من الأحبه فى حديقة مزهرة لجولر (نيودلهى)



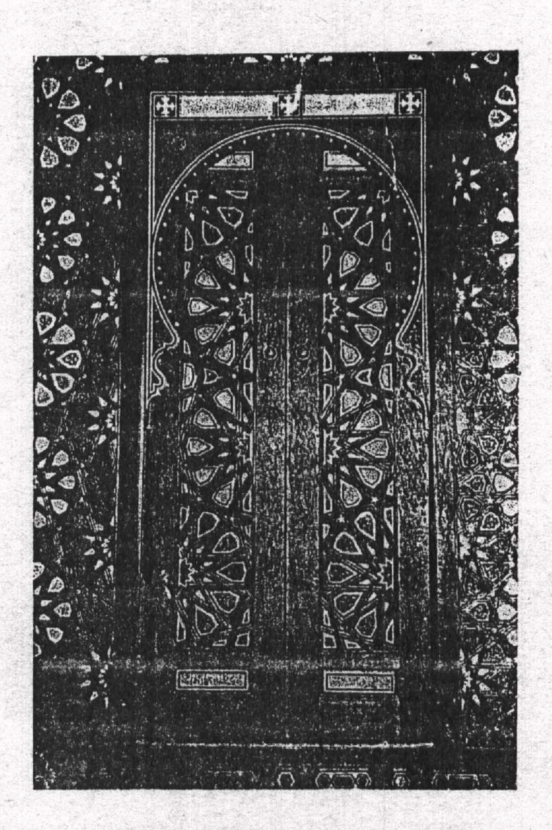
(٦٩) الحبيبة البائسة التى تخلى عنها حبيبها



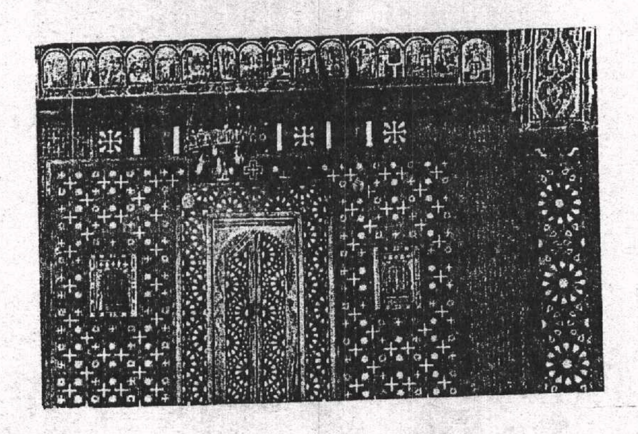
(٧٠) الكنيسة المعلقة من الداخل



(٧١) الكنيسة المعلقة بالقاهرة القديمة من الداخل

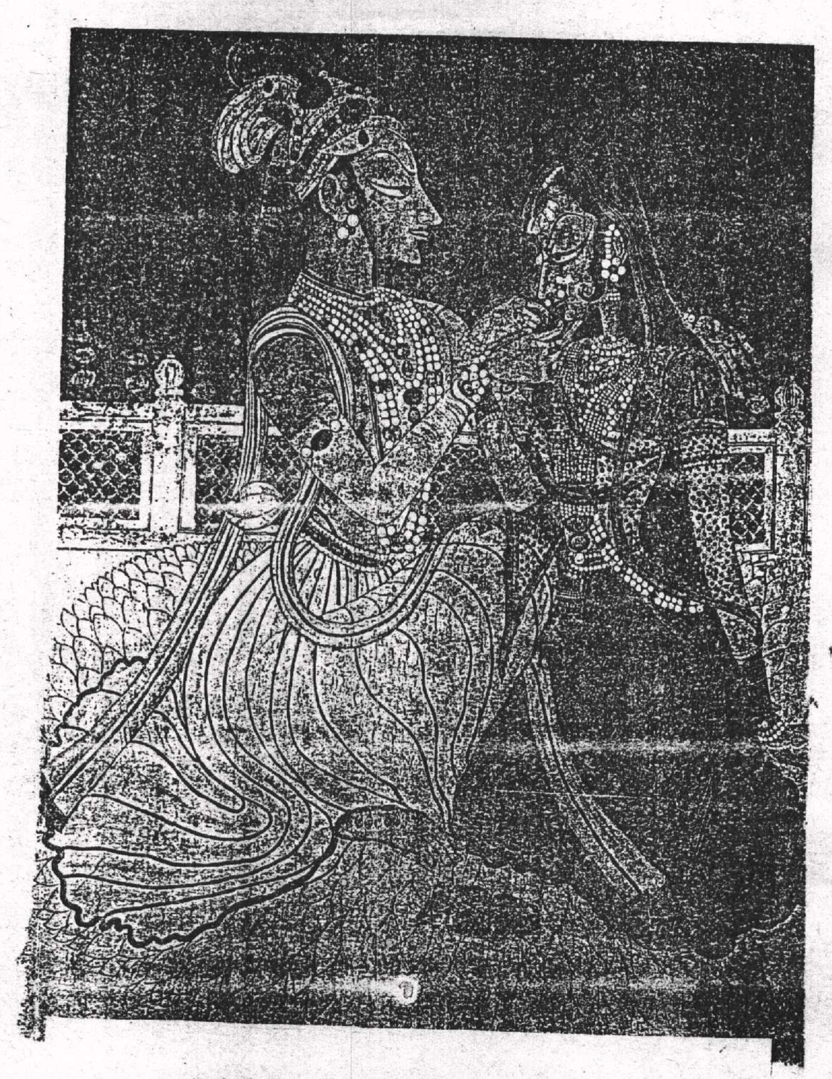


(٧٢) باب من الكنيسة المعلقة بالقاهرة القديمة

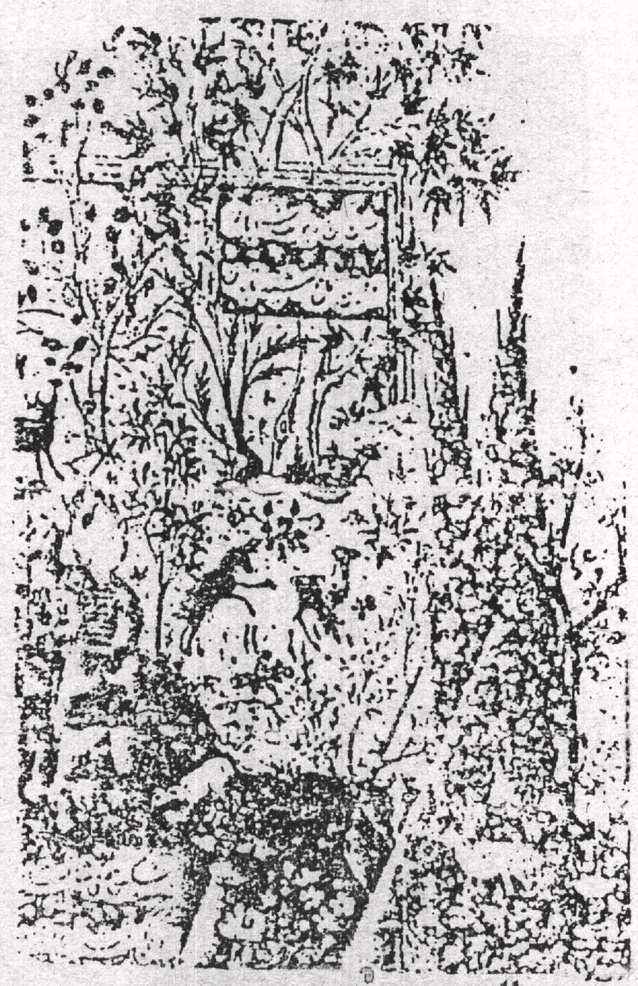


(٧٣) العاج مرصع به القداس الذى يهدى إلى القديس جورج الكنيسة المعلقة بالقاهرة القديمة

(٧٤) سيدتان من البلاط الملكي - فلادليفيا



(٧٥) رادها وكريشنا يتقابلا فى الغابات ليلا



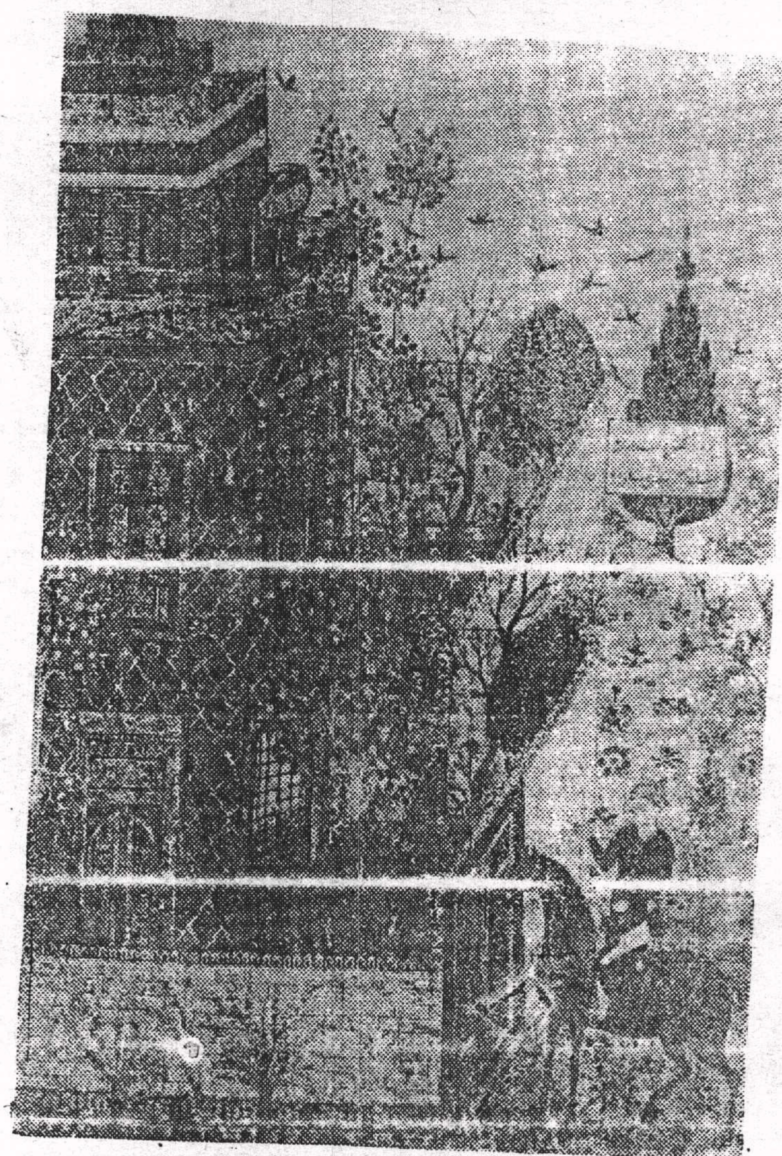
- التصوير الفارسي الاسلامي



٧٧ المدرسة الهندية المغولية



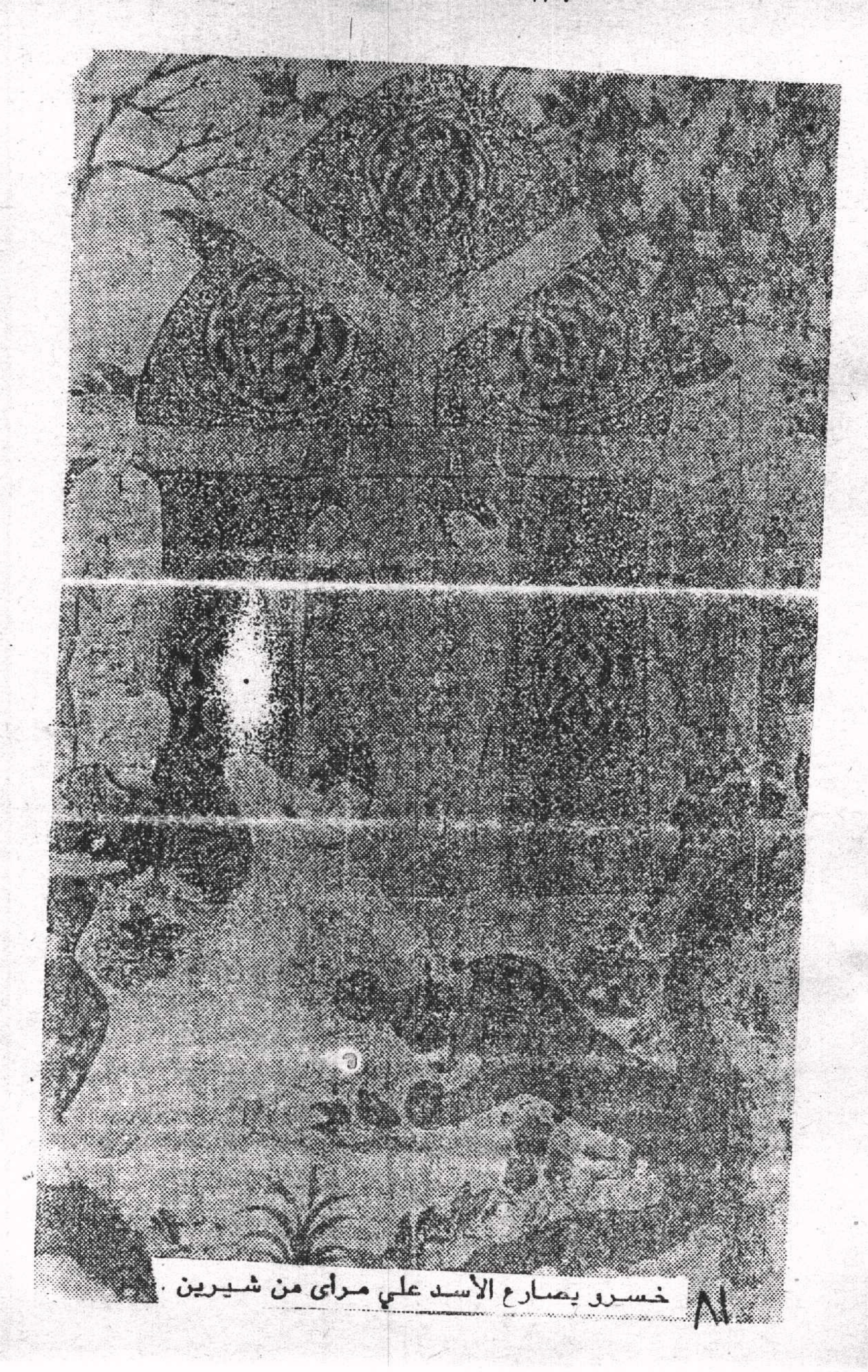
٧٨ المدرسة العثمانية



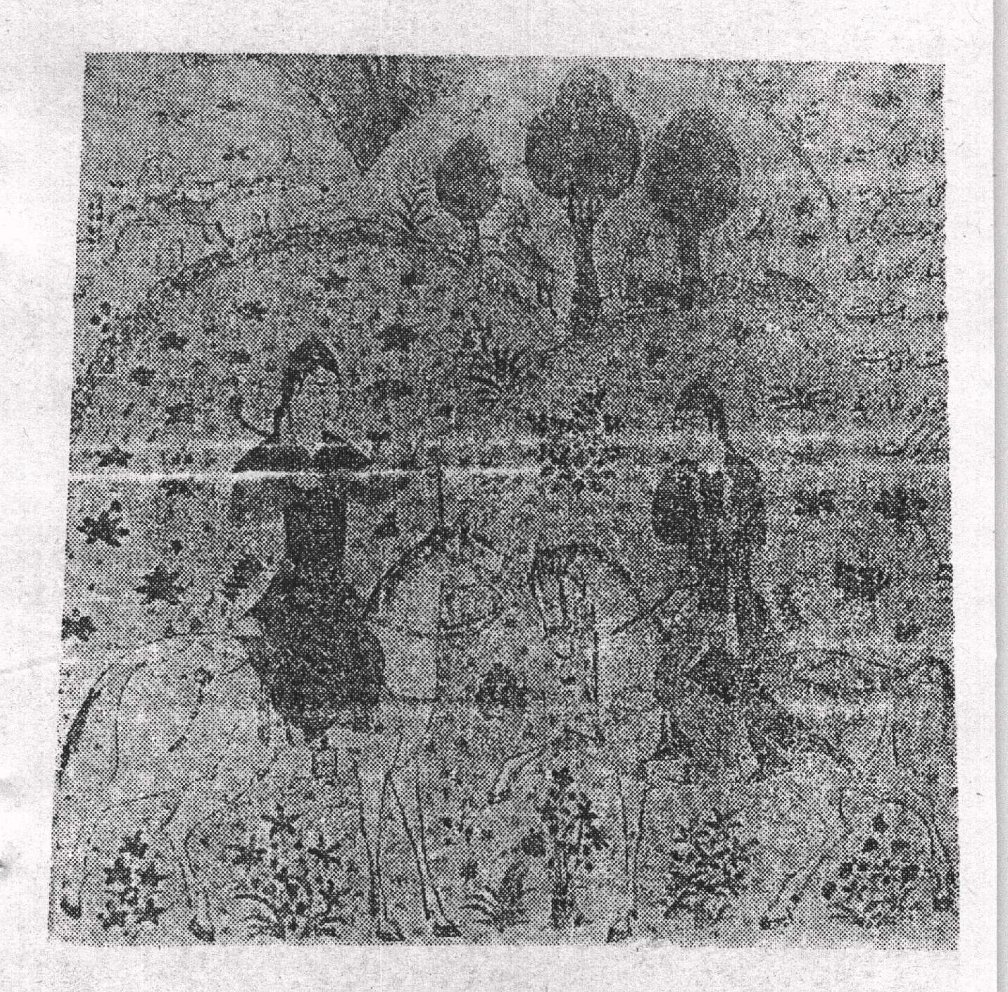
٧٩ الأميرة همايون تطل علي الامير هماي وهو عند مدخل قصرها
تصويرة من مخطوط خواجوكرماني



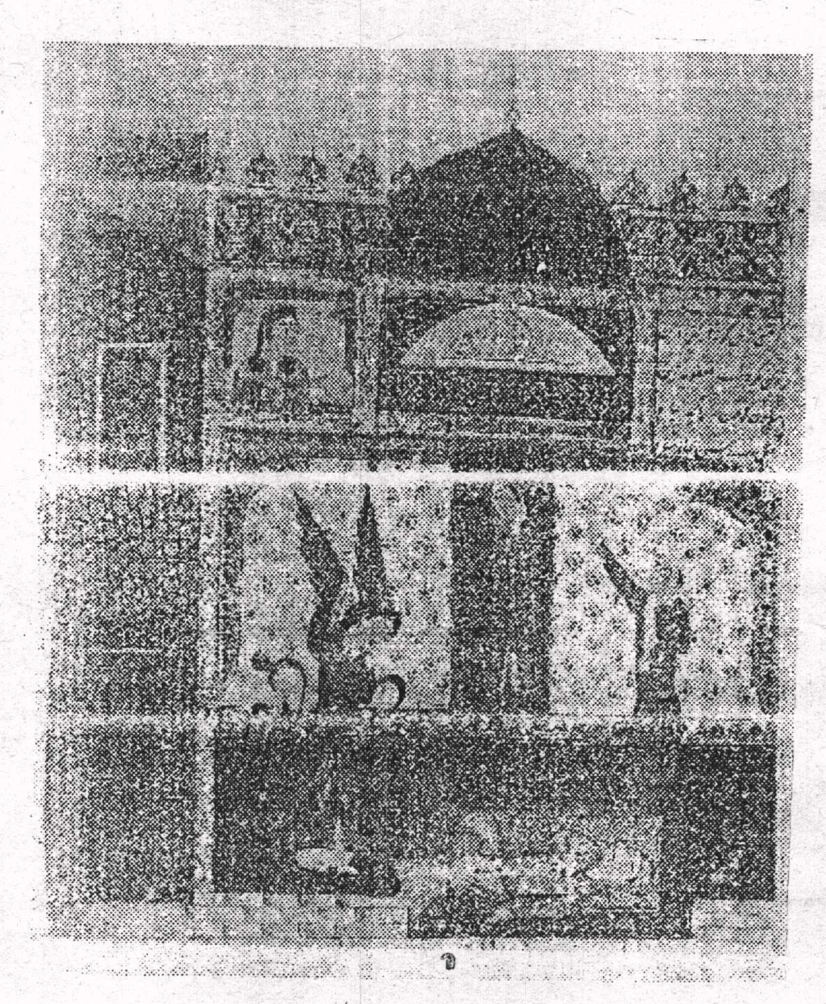
٨٠ الأسد يخاطب أمه . تصويرة من مخطوط لكتاب كليلة ودمنة



٨١ خسرو يصارع الأسد علي مرأى من شيرين .



٨٢ مقـــابلة خسرو وشيرين وهما على ظهور الخيل



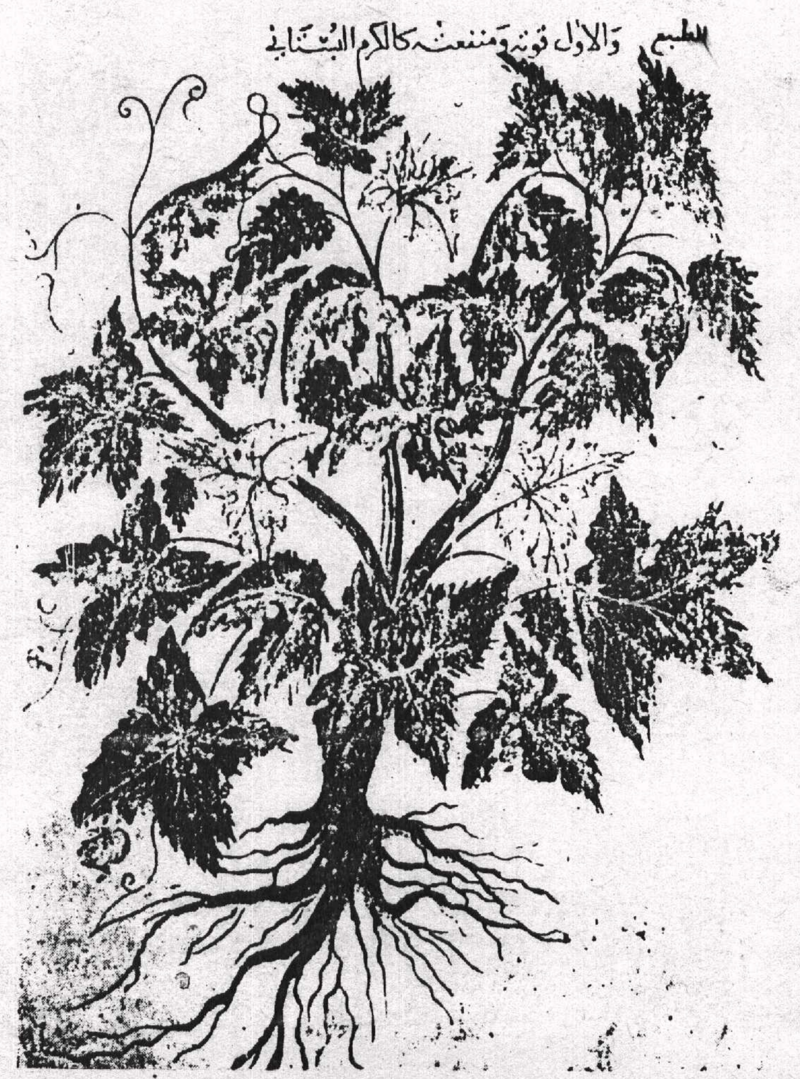
٨٣ همايون يغمى عليها عند مشاهدتها صورة هماى



٨٤ - لوحة من كتاب «البيطرة» ١٢٠٩ م - فارس يروض جواده



٨٥ ،مقامات الحريري، الجزيرة الشرقية ،المقامة التاسعة والثلاثون، بغداد ،العراق، ١٢٣٧م، ٦٣٤هـ



من كتاب «مادة الطب» لديو سقوريدس، شجرة عنب: شمال العراق او سوريا ١٢٢٩م



٨٧

بياض ورياض. القرن ١٣   صورة شمول تكلم بياضا وهو بقرب الحديقة على النهر



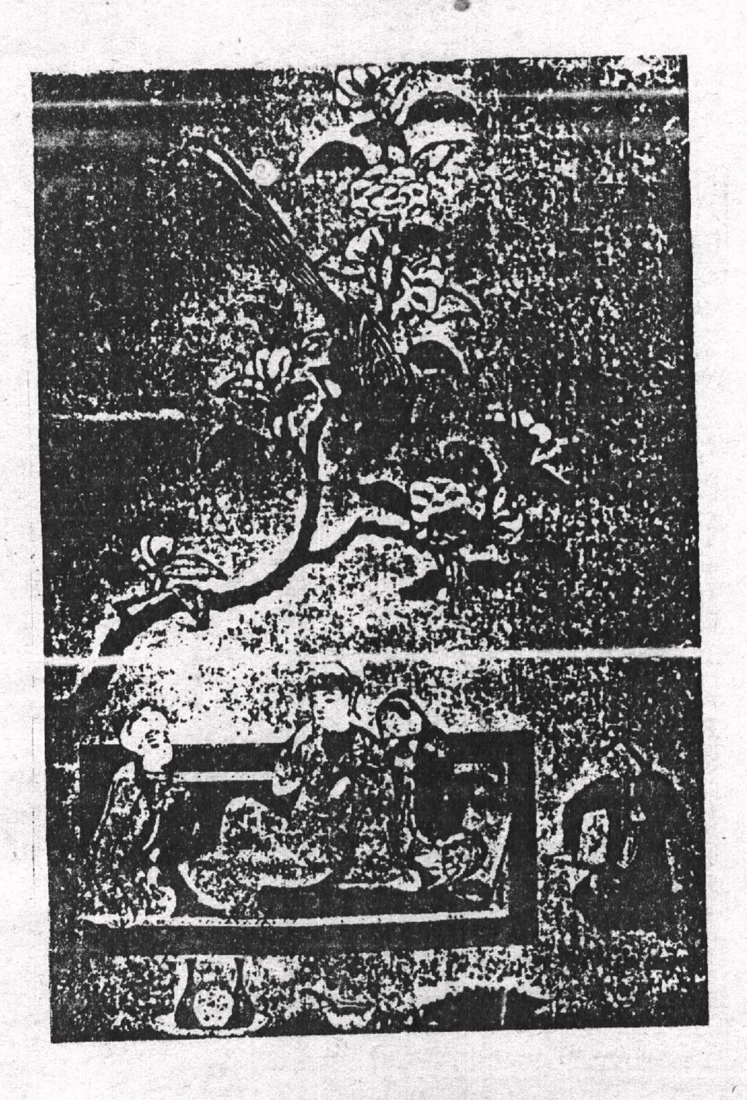
٨٨ مصورة من مخطوطة مؤنس الأحرار
المدرسة المغولية بايران مؤرخة من ١٣٤١م



اسكندر على عرشه ـ المدرسة الفارسية التترية

أوائل القرن الثامن الهجري

٨٩



٩٠ خسرو وشيرين المدرسة التيمورية

في اوائل القرن التاسع الهجري

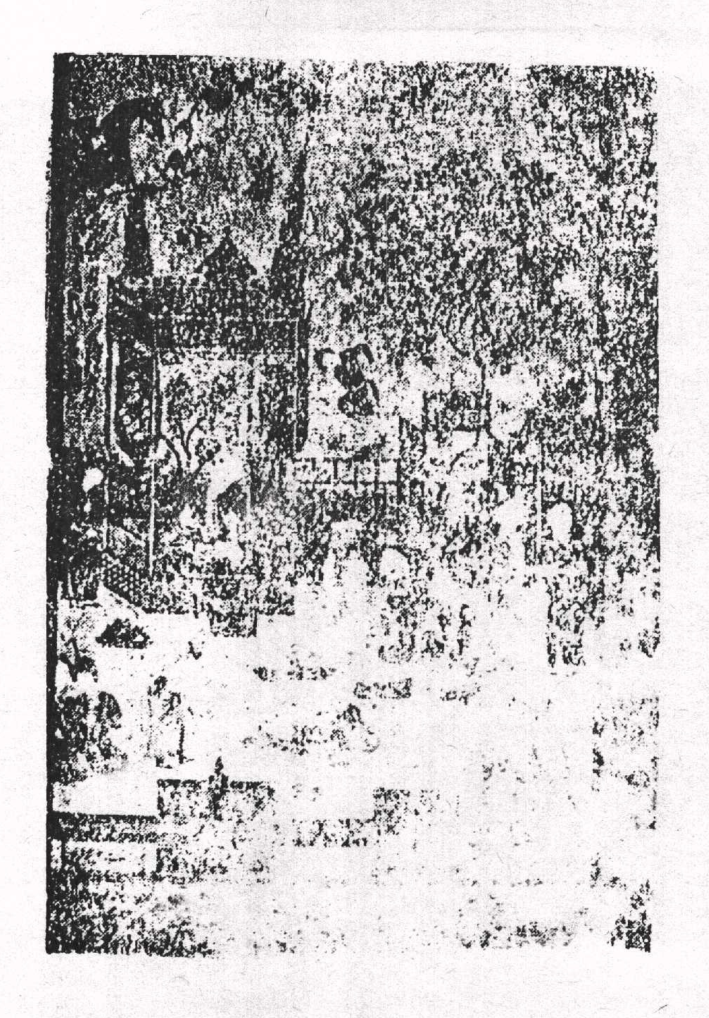


٩١ خسرو يقتل بهرام المدرسة الفارسية التتريه

سنة ٨٢٣هـ



٩٢ لقاء هماى وهمايون في حديقة القصر المدرسة التيمورية
الربع الاول من القرن التاسع الهجري



٩٣ الطبيبان المتناظران
المدرسة الصفوية
القرن العاشر الهجري من نظامي مخطوط للشاه طهماسب



٩٤ مجلس شراب

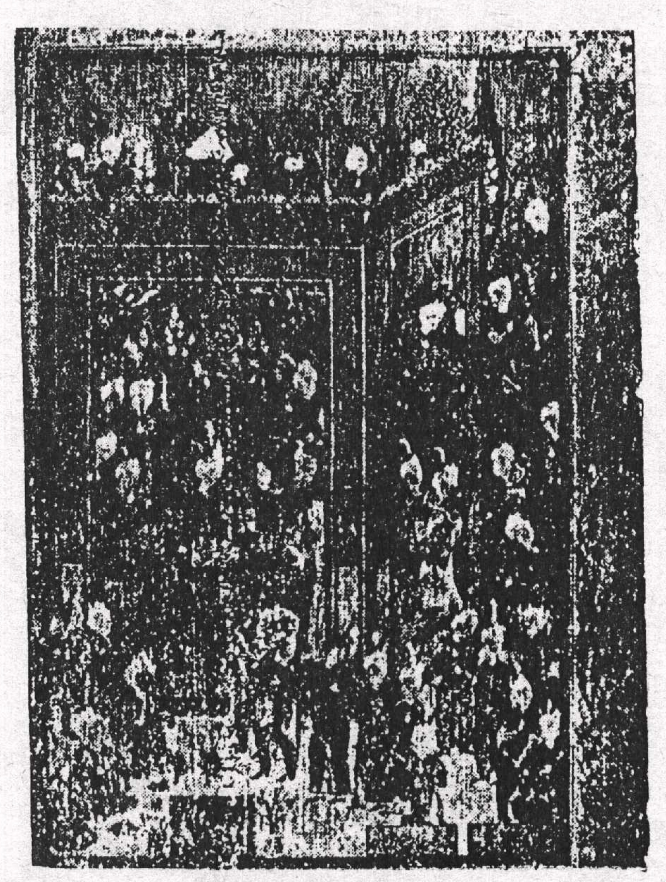
للمصور سلطان محمد، المدرسة الصفوية

في اوائل القرن العاشر الهجري



٩٥ صورة امير

للمصور سلطان محمد أو مدرسته



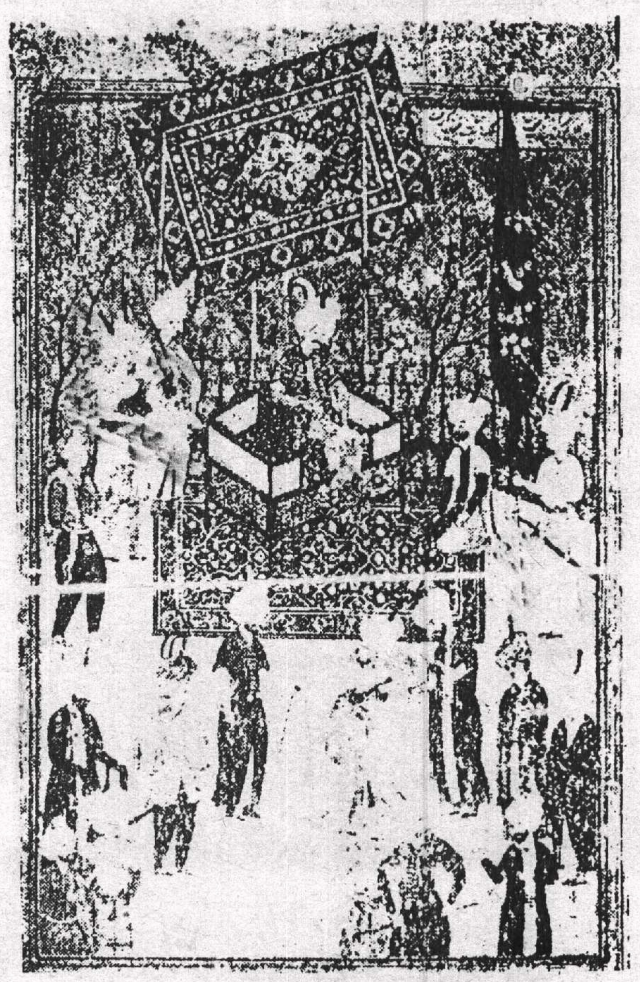
٩٦ تتويج خسرو

لميرك - المدرسة الصفوية ٩٤٦ - ٩٥٠ هـ. ١٥٣٩ - ١٥٤٣ م.

من مخطوط نظامي للشاه طهماسب



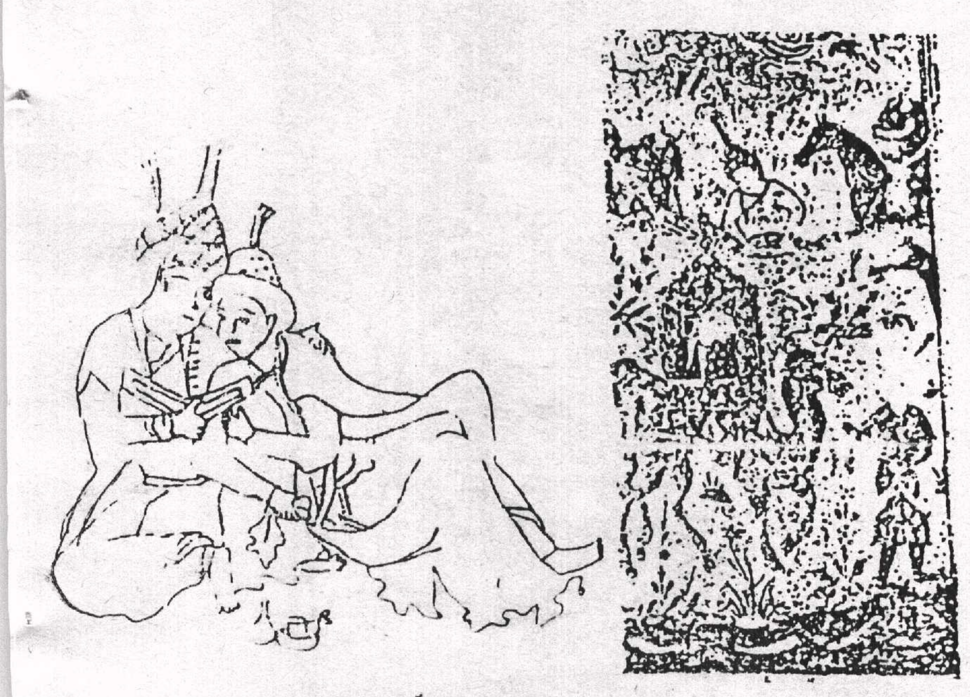
٩٧ صورة هندية من بداية القرن الثامن عشر تمثل اميرا فى طريقه الى الصيد ومعه تابعان عزالان اليفان ، ويقف الأمير بجوار بئر عليها فتيات يأخذن الماء ، تتقدم احداهن لتسقيه



٩٨ خسرو ورجال بلاطه
من مخطوطة المنظومات الخمس المدرسة الصفوية
(١٥٣٤ ـ ١٥٣٥)م



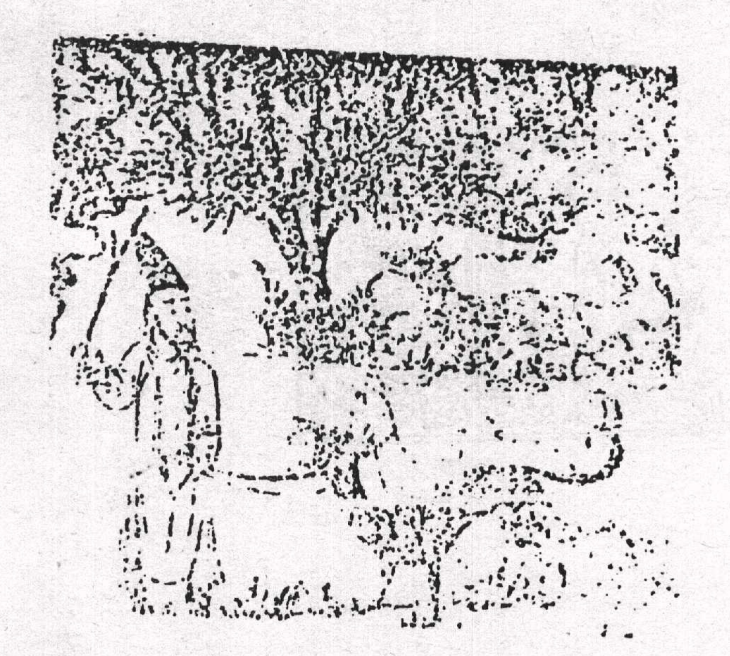
٩٩ صورة هندية من نهاية القرن ١٧ تمثل اتباعاً يوقظون أمير



١٠٠ المدرسة الصفوية الأولى



١٠١
المدرسة الصفوية الثانية



١٠٢ المدرسة المغولية



١٠٣ المدرسة التيمورية .



١٠٤ مدرسة التصوير التيمورية

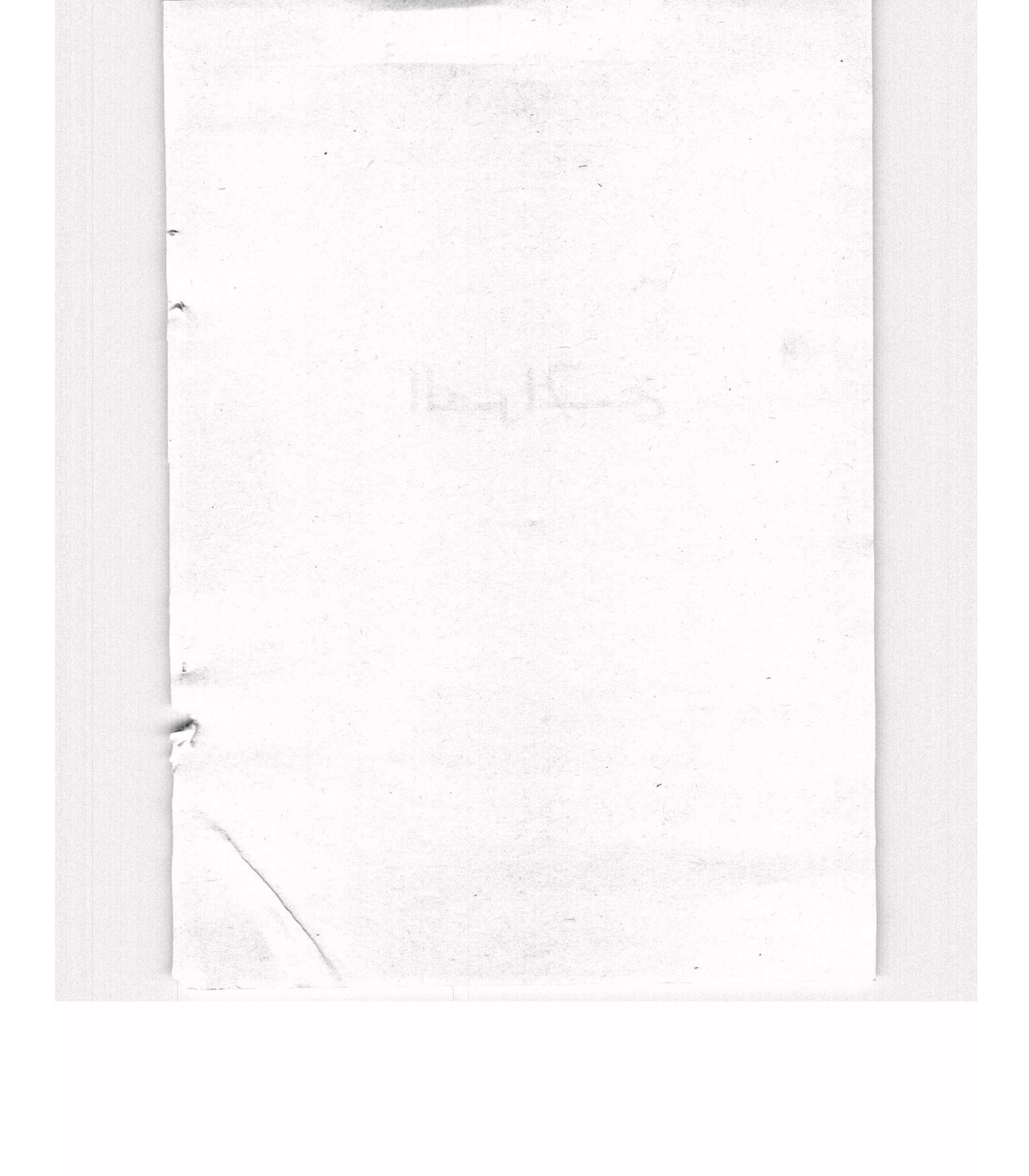


١٠٥ المدرسة العربية



٠٦ لوحة من كتاب «البيطرة» ١٢٠٩م حارسان يتعاونان لمساعدة فرس على ولادة عسيرة

المـراجـع



أولا : المراجع العربية

١- الدكتور زكى محمد حسن : مدرسة بغداد فى التصوير الإسلامى

٢- د. زكى محمد حسن : الفنون الإيرانية فى العصر الإسلامى

٣- د. زكى محمد حسن : فنون الإسلام

٤- د. زكى محمد حسن : التصوير فى الإسلام عند الفرس

٥- د. حسن الباشا : التصوير الإسلامى فى العصور الوسطى

٦- الدكتور زكى محمد حسن : أطلس الفنون الزخرفية والتصاوير الإسلامية

حسن الباشا : ابو زيد السروجى بين الأدب والفن

٧- الدكتور معبد الوهاب عزام : مقدمة لترجمة الفتح بن على البندارى للشاهنامه

٨- حسن الباشا : صور المناظر الطبيعية فى قبة الصخرة بالقدس والمسجد الأموى بدمشق . المجلة العدد ٣٠

٩- الدكتور زكى محمد حسن : الصين وفنون الإسلام ، دائرة المعارف

١٠- أحمد تيمور : التصوير عند العرب ، إخراج الدكتور زكى محمد حسن ، كليله ودمنة . المطبعة الأميرية بالقاهرة

١١- الدكتور جمال محرز : كليله ودمنة فى التصوير الإسلامى مجلة الشهر، العدد الثالث — سنة ١٩٥٨ صفحة ١٢.

١٢- حسن الباشا : فن التصوير فى مصر الإسلامية

ثانيا : المراجع الأجنبية

1) Persian Miniature PAINTING , AND ITS INFLUENCE ON THE ART OF TURKEY AND INDIA . Norah – M.titley, the British liberary .

2) Pratapaditya pal & Stephen Markel & Janice Leashko, PLEASURE GARDENS OF THE MIND, INDIANPAINTINGS, Los Angeles Country Museum of Art .

3) Linda York Leach , MUGHALAND OTHER INDIAN PAINTINGS from the chester Beatty library, London.

4) Glenn D.Lowry, A JEWELER'S EYE, ISLAMIC ARTS OF THE BOOK FROM THE VEVER COLLECTION, Seattle and London .

5) Krishna chaitanya, AHISTORY OF INDIAN PAINTING , MANUSCRIPT, Moghul and Deccani Traditions, 1979.

6) Na'ama Brosh with Rachel Milstein, BIBLICAL STORIES IN ISLAMIC PAINTING, May 1992.

7) Stuart Cary welch, PERSION PAINTING, New York.

8) Asok Kumar Das, Dawn of mughal painting , Bombay .

9) Mohinder Singh Randha wa, and Doris schreier Randha wa, GULER PAINTING, India.

10) Aziz S.Atiya, THE COPTIC ENCY CLOPEDIA, vol.2, Toronto

11) Stuart Cary melch, IMPERIAL MUGHAL PAINTING, New York.

12) David Talbot Rice, ISLAMIC PAINTING A SURVEY, Edinburgh.

13) Conser rateur des Antiquites Orientales au British Museum, LAPEINTURE PERSANE , Geneve , 1961.

14) Stella Kramrisc PAINTED DELIGHT, INDIAN paintings from philadelphia Collections.

15) Thomas w.Arnold, PAINTING IN ISLAM, a study of the place of pictorial Art in Muslim Culture.

16) Niharranjan Ray , Mughal courtpainting, a study in socia and formal analysis, Indian Musum, Calcutta, 1975.

17) Massino Capuani, EGITTOCOPTO, Contributi di otto Meinardus Marie –Helene Rutschw Scoya .

18) Krishna chaitanya, mauscripte MOGHUL AND DECCANI TRADITIONS.

19) M.S. RANDHAWA , KANGRA VALLEY PAINTING, publications Division.

20) B.W. Robinson, LAPITTURA DI CORTE IN PERSIA .

المحتويـات

